

المقالة المستطرفة

في فهم معلقة طرفة

تأليف

محمد بن موسى المجمي

مؤسس ورئيس نادي قارئون



مدخل

الحمد لله، خلقَ الإنسانَ علّمهُ البيان، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ ولدِ عدنان، المتربعِ على ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان.

وبعد، فإنّ موسى عليه السلام لما أرسله الله عز وجل إلى فرعون وملائه سأل ربه فقال (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)، وطلبه مُعيناً فقال (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني). وما ذاك إلا رغبةً منه في تحصيل غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة، لتكون الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع[1].

ولست أظن الحاجة قائمة لشرح فضل البيان وأهميته في إيصال الحق في أجمل قالب وأمتن حُجّة وأسلس عبارة، ويكفي في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من البيان لسحرا) رواه البخاري[2].

وإنَّ مما يعين على تحصيل ذلك بعد قراءة الكتاب المبين ودواوين سُنَّة خير المرسلين؛ النظر في أشعار العرب لا سيما ما اعتلى ذروة الفصاحة منها، وفي مقدمه —ولا ريب— المعلقات.



(١) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ص٧.

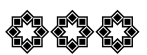
(٢) للاستزادة في هذا الموضوع إقرأ دواوين الأدب الكبرى من أمثال: البيان والتبيين للجاحظ، العقد الفريد لابن عبدربه، الأمالي لأبي علي القالي، الكامل في اللغة والأدب للمبرد، أدب الكاتب لابن قتيبة، الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، بهجة المجالس لابن عبدالبر.

ما المعلقات؟

المعلقات قصائدٌ من مطوّلات الشعر العربي، من أدقّه معنىً وأبعده خيالاً وأبرعه وزناً وأصدقه تصويراً للحياة وقتها.

وهي سبع قصائد، وفي قولٍ عشر، برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح، حتّى قيل أنَّ العرب استحسنوها وكتبوها بماءِ الذهب وعلّقوها على الكعبة.

وأصحاب المعلقات هم امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد (والنابغة والأعشى وعبيد بن الأبرص عند من قال أنها عشر).



من هو طرفة؟

هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وقيل اسمه عمرو وإنما طرفة لقبٌ له، من بني بكر بن وائل، ولد في البحرين حوالي سنة٥٤٣م. أبوه العبد البكري شاعر، وأمه وردة بنت عبدالمسيح أخت الشاعر المتلمس.

توفي والده وهو صغير فقام بأمر أمه وأشقائه بعد أن تنكر له أعمامه وضيقوا عليه.

نشأ في حياة اللهو والترحال إلى أن أفنى ماله فعاد يرعى إبل أخيه التي سلبت فرد عليه مثلها بشعره، وذلك بامتداحه قيس بن خالد وعمرو بن مرثد.

قصد عمرو بن هند ملك الحيرة ، وكان ملكاً مهاباً لا يبتسم ولا يضحك، وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة، فقربه وأحسن إليه إلا أن لسانه أودته المهالك إذ رأى أخت الملك فقال فيها بيتين من الغزل، ولما بلغ الخبر عمرو بن هند كتب له ولأخيه المتلمس رسالتين إلى عامله على البحرين فيهما الأمر بقتلهما.

ولما نزلا الحيرة استراب المتلمس في أمر الرسالتين ففض رسالته وبحث عمن يقرؤها فلما وجد فيها الأمر بقتله رماها في النهر وقرر الهرب للشام وحذر ابن أخته طرفة من محتوى مماثل لرسالته غير أن اعتداده بنفسه جعله يسير إلى عامل البحرين حيث لقي هناك حتفه، وكان في السادسة والعشرين من عمره.

يعد طرفة بن العبد من أكثر شعراء الجاهليّة تميزاً وذِكراً، وذلك لما في حياته على قصرها من أحداث جسام، ولما في شعره من حِكَم وآراء في الموت والحياة ووصف مذهل دقيق وفوائد تاريخيّة وجغرافيّة. ولذلك قال عنه ابن سلاّم إنه أشعر النّاس وحده. وسئل لبيد بن عامر عن أشعر العرب فقال ثلاثة: الملك الظليل، يعني امرئ القيس، والغلام القتيل، يعني طرفة، والشيخ أبو عقيل، يقصد نفسه.



موضوعات المعلقة:

تجاوزت أبيات المعلقة المائة (وأوصلها أبو زيد القرشي ١١٥ بيتاً)، وهي في هذا البحث ١٠٥ أبيات موضوعاتها على النحو التالي:

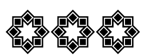
١- البكاء على الأطلال (٥ أبيات).
٢- التغزل في المحبوبة (٥ أبيات).
٣- وصف الناقة بصفات لا يمكن أن تجتمع في ناقةٍ أبداً! (٣٣ بيتاً).
٤- الفخر الذاتي والتمدح بالشجاعة والكرم والعبِّ من اللذات (١٢ بيتاً).
٥- بيان فلسفته في الحياة والموت (١٤ بيتاً).
٦- عتاب مرير لابن عمه مالك (١٤ بيتاً).
٧- عودة للفخر الذاتي من جديد (٢٠ بيتاً).
٨- خاتمة القصيدة (بيتان).



لماذا هذه الورقات؟

كثيراً ما رغبتُ في قراءةِ المعلقات وحفظِ شيءٍ منها بُغية الإفادة في بناء ثروة لغوية وتحصيل تراكيب وأساليب بلاغية عالية. وكان الطريق إلى ذلك يمر إجباريًّا بشروح المعلقات، وفي كل مرة كنتُ أجد الشرح منها يحتاج إلى شرح، والتوضيح فيها يحتاج لبيان. وكم تمنيت أن يتصدى لذلك أهل الفن والتخصص فيقربوه للأفهام بلغة العصر وأسلوبه، ولما لم أجد استعنت بالله وكتبت هذه الأسطر تقريباً للمعنى واستمتاعاً بالمبنى مع بعد عن التوسع في النواحي الإعرابية وخلافات الرواة.

وكان الهدف إكساب المتأدب الحد الأدنى من فهم مفردات المعلقة ومعانيها، ليكون قادراً على التوسع بعد ذلك، فتكون هذه الورقات بمثابة مدخل لفهم المعلقة، مع ترك مهمة الشروح التفصيلية والدراسات الاستيعابيّة لأهل الفنّ.



هل المعلومات هنا قطعية؟

المطلع على شروح المعلقة يجد خلافاً في كون بعض الأبيات من المعلقة أم لا، وخلافاً في ترتيب بعض الأبيات، ناهيك عن الخلافات في مقصود الشاعر من المعاني التي أراد إيصالها لنا.

ومع كل هذا، فهذه الخلافات يسيرة جدًّا، وفي غالبها من باب خلاف التنوع لا التضاد، بل هي في نظري مما يكسب المعلقة مدىً رحباً من المعاني والصور والقوة والمتانة.



دليل المعلقة

	الغرض	الأبيات	عددها
١	بكاء على الأطلال	١-٥	٥
٢	التغزل في المحبوبة	٦-١٠	٥
٣	وصف النّاقة	١١-٤٣	٣٣
٤	فخرٌ ذاتي	٤٤-٥٥	١٢
٥	فلسفة الحياة والموت	٥٦-٦٩	١٤
٦	معاتبة ابن عمه	٧٠-٨٣	١٤
٧	فخرٌ ذاتي	٨٤-١٠٣	٢٠
٨	الخاتمة	١٠٤-١٠٥	٢

مُعلَّقة

طرفة بن العبد

لِخَولةَ أطْلالٌ بِبُرقَة ِ ثَهمَدِ *تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطيَّهُم * يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ

كَأَنَّ حُدوجَ المالِكيَّةِ غُدوَةً * خَلايا سَفينٍ بِالنَواصِفِ مِن دَدِ

عدولية ٍ أو من سفين ابن يامنٍ * يجورُ بها المَّلاح طوراًويهتدي

يشقُّ حَبَابَ الماءِ حيزومُها بها * كما قَسَمَ التُّربَ المُفايِلُ باليَدِ

وفي الحيِّ أحْوَى ينفضُ المَرْدَ شَادِنٌ * مُظاهِرُ سِمْطَيْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرجَدِ

خَذُولٌ تُراعِي رَبْرَباً بِخَمِيلةٍ * تَناوَلُ أطرافَ البَريرِ وتَرتَدي

وتبسمُ عن ألَمى كأنَّ مُنوراً * تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ له نَدي

سقتهُ إياة ُ الشمس إلا لثاتهُ * أُسف و لم تكدم عليه بإثمدِ

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ حَلَّتْ رِدَاءَهَا * عَلَيْهِ نَقِيَّ اللّونِ لَمْ يَتَخَدّدِ

وإنّي لأمضي الهمّ عند احتِضاره * بعوجاء مرقالٍ تروحُ وتغتدي

أَمُونٍ كألواحِ الإِرَانِ نَسَأْتُها * عَلى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهرُ بُرجُدِ

جَماليّةٌ وَجْناءَ تَردي كأنّها * سَفَنَّجَةٌ تَبري لأزعَرَ أربَدِ

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجيَاتٍ وأَتْبَعَتْ * وَظِيفاً وَظِيفاً فَوق مَورٍ مُعبَّدِ

تَرَبَّعَتِ القُفَّينِ في الشَّوْلِ تَرْتَعِي * حَدائقَ مَوْلِيِّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ

تَريعُ إلى صَوْتِ المُهيبِ وتَتّقي * بِذي خُصَلٍ رَوعاتِ أكلَفَ مُلبِدِ

كأنَّ جَنَاحَي مَضْرَحِيٍّ تكنّفا * حِفَافَيْهِ شُكّا في العَسِيبِ بِمِسْرَدِ

فَطَوراً به خَلْفَ الزّميلِ وتارة * على حَشَفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَدّدِ

لها فَخِذانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فيهما * كأنّهُما بابا مُنيفٍ مُمَرَّدِ

وطَيٌّ مَحالٍ كالحَنِيّ خُلوفُهُ * وأجرِنَةٌ لُزّتْ بِدَأيٍ مُنَضَّدِ

كَأَنَّ كِناسَي ضَالَةٍ يَكنِفَانِها * وَأَطْرَ قِسيٍّ تَحتَ صُلبٍ مُؤَيَّدِ

لَها مِرفَقانِ أَفتَلانِ كَأَنَّها * تَمُرُّ بِسَلْمَي دالِجٍ مُتَشَدَّدِ

كَقَنْطَرَةِ الرُّوميِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا * لَتُكْتَنَفَنْ حَتَّى تُشَادَ بِقِرْمِدِ

صُهابِيّةُ العُثْنُونِ مُوجَدَةُ القَرَا * بعيدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّراةُ اليَدِ

أُمِرُّتْ يداها فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ * لها عَضُداها في سَقِيفٍ مُسَنَّدِ

جَنوحٌ دَفَاقٌ عَنْدَلٌ ثُمَّ أُفرِعَتْ * لها كَتِفاها في مُعَالىً مُصَعَّدِ

كَأَنَّ عُلوبَ النَّسْعِ في دَأَيَاتِها * مَوَارِدُ مِن خَلْقاءَ في ظَهْرِ قَرْدَدِ

تَلاقَى وأحياناً تَبِينُ كأنّها * بَنائِقُ غُرٌّ في قميصٍ مُقَدَّدِ

وأَتْلَعُ نَهّاضٌ إذا صَعّدَتْ به * كَسُكّانِ بُوصِيٍّ بدجلةَ مُصْعِدِ

وجمجمةٌ مثلُ العَلاةِ كأنَّما * وَعَى المُلْتَقَى مِنْها إلى حَرْفِ مِبْرَدِ

وَخَدٌّ كقرطاسِ الشآمي ومِشْفَرٌ * كسِبْتِ اليماني قدُّه لم يُحَرَّدِ

وعينانِ كالمَاوِيَّتيْنِ استَكَنَّتا * بِكَهْفَيْ حِجاجَيْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ

طَحُورانِ عُوّارَ القذى فتراهُما * كمكحولَتيْ مَذْعُورَةٍ أُمِّ فرقدِ

وصادِقَتا سَمْعِ التوجُّسِ للسُّرى * لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أو لصَوْتٍ مُندِّدِ

مُؤَلَّلتانِ تَعْرِفُ العِتقَ فِيهِما * كسامِعَتيْ شاةٍ بحوْمل مُفْرِدِ

وَأَرْوَعُ نَبّاضٌ أحَذٌّ مُلَمْلَمٌ * كمِرداةِ صَخرٍ في صَفِيحٍ مُصَمَّدِ

وأعلمُ مخروتٌ من الأنفِ مارنٌ * عَتيقٌ مَتى تَرجُمْ به الأرضَ تَزدَدِ

وإنْ شئتُ لم تُرْقِلْ وإن شئتُ أرقَلتْ * مخافةَ مَلويٍّ من القدِّ مُحْصَدِ

وإن شِئتُ سامى واسِطَ الكورِ رأسُها*وعامت بضبعيها نجاءَ الخفيْدَدِ

على مثلِها أمضي إذا قال صاحبي * ألا لَيتَني أفديكَ منها وأفْتَدي

وجاشَتْ إليه النّفسُ خوفاً وخالَهُ * مُصاباً ولو أمسى على غَيرِ مَرْصَدِ

أحَلْتُ عليها بالقَطيعِ فأجذَمتْ * وقد خبَّ آل الأَمعز المتوقدِ

فَذَالَت كما ذَالَت وَلِيدةُ مَجْلِسٍ * تُري رَبَّها أذيالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ

إذا القومُ قالوا مَن فَتًى خِلتُ أنّني * عُنِيتُ فلمْ أكسَلْ و لم أتبَلَّدِ

ولستُ بحلاَّل التِّلاعِ مخافةً * ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ

وإنْ تَبْغِني في حَلْقَةِ القومِ تِلْقَني * وإنْ تَلْتَمِسْني في الحوانيتِ تَصْطَدِ

متى تأتني أَصْبَحْكَ كأساً رويةً * وإنْ كنتَ عنها غانياً فاغنَ وازْدَدِ

وإنْ يلتقِ الحيُّ الجميع تلاقني * إلى ذِروةِ البَيتِ الشريفِ المُصَمَّدِ

نداماىَ بِيْضٌ كالنجومِ وَقَيْنَة * تَروحُ عَلَينا بَينَ بُردٍ ومُجْسَدِ

رَحيبٌ قِطابُ الجَيبِ منها رفيقَةٌ * بِجَسّ النّدامى بَضّةُ المُتجرَّدِ

إذا نحنُ قُلنا أسمِعِينا انبرَتْ لنا * على رِسْلِهَا مطروفةً لم تَشَدَّدِ

إذا رَجّعَتْ في صَوتِها خِلْتَ صَوْتَها * تَجاوُبَ أظآرٍ على رُبَعٍ رَدِي

وما زال تشرابي الخمورَ ولذَّتي * وبَيْعِي وإنفاقي طَريفي ومُتلَدِي

إلى أن تَحامَتني العَشيرةُ كلُّها * وأُفرِدتُ إفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

رأيتُ بني غبراءَ لا يُنكِرونَني * ولا أهلُ هذاكَ الطرافِ الممدَّدِ

ألا أيُّهذا اللائمي أشهدَ الوغى * وأن أهلَ اللذّات هل أنتَ مُخلِدي

فإنْ كُنْتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ منيَّتي * فدعني أُبادِرْها بما مَلَكتْ يَدِي

فلولا ثلاثٌ هُنّ مِنْ عِيشةِ الفتى * وجدِّكَ لم أحفل متى قامَ عُوَّدِي

فمِنهُنّ سَبْقُ العاذِلاتِ بشَرْبَةٍ * كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزبِدِ

وَكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً * كَسِيْدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ

وتقْصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعجِبٌ * ببهكنةٍ تحت الخباءِ المُعَمَّدِ

كأنّ البُرَيْنَ والدّمالِيجَ عُلِّقَتْ * على عُشَرٍ أو خِرْوَعٍ لم يُخَضَّدِ

ذريني أُرَوِّي هامتي في حياتها * مخافةَ شِرْبٍ في الحياةِ مُصَرَّدِ

كريمٌ يُرَوّي نفسه في حياتِهِ * ستعلم إنْ مُتنا غداً أيُّنا الصَّدِي

أرى قَبرَ نَحّامٍ بَخيلٍ بمالِهِ * كَقَبرِ غَويٍّ في البَطالَةِ مُفسِدِ

ترى جُثْوَتَينِ من تُرَابٍ عَلَيهِما * صَفائِحُ صُمٌّ مِن صَفيحٍ مُنَضَّدِ

أرى الموتَ يَعْتَامُ الكِرامَ ويصطفي * عقيلةَ مالِ الفاحشِ المُتَشَدِّدِ

أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كُلَّ ليلةٍ * وما تَنْقُصِ الأيّامُ والدّهرُ يَنفَدِ

لعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفتى * لَكالطِّوَلِ المُرخى وثِنياهُ في اليدِ

فما لِيْ أراني وابنَ عمّيَ مالِكاً * متى أدنُ منهُ ينأَ عني ويَبْعُدِ

يَلومُ وَما أَدري عَلامَ يَلومُني * كَما لامَني في الحَيِّ قُرطُ بنُ أَعْبَدِ

وأَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خيرٍ طلبتُهُ * كأَنّا وضعناهُ إلى رِمْسِ مُلْحَدِ

على غيرِ شيءٍ قُلْتُهُ غيرَ أنني * نَشَدْتُ فلم أُغْفِلْ حَمُولةَ مَعْبَد

وقرّبْتُ بالقُرْبى وجَدّكَ إنّني * متى يَكُ أمْرٌ للنَّكِيثَةِ أَشْهَدِ

وِإن أُدْعَ للجُلَّى أكن من حُماتها * وإنْ يأتِكَ الأعداءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ

وإن يَقذِفوا بالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ * بِشُرْبِ حياضِ الموتِ قبلَ التَّهَدُّدِ

بلا حَدَثٍ أحْدَثْتُهُ وكَمُحْدِثٍ * هِجائي وقَذفي بالشِّكَاةِ ومُطْرِدِي

فلو كان مولاي امرءاً هُو غيرُهُ * لَفَرّجَ كَرْبِي أوْ لأنْظَرَني غَدِي

ولكنَّ مولايَ امرؤٌ هُو خانِقِي * على الشُّكْرِ والتَّسْآلِ أو أنا مُفتَدِ

وظُلْمُ ذوي القُربى أشدُّ مَضَاضَةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهنّدِ

فذرني وخُلْقي إنني لكَ شاكرٌ * ولو حَلَّ بيتي نائياً عندَ ضَرْغَدِ

فلو شاءَ رَبِّي كنتُ قَيسَ بنَ خالِدٍ * ولو شاءَ رَبِّي كنتُ عَمْرَو بنَ مَرثَدِ

فأصبحتُ ذا مال كثيرٍ وعادَني * بنونَ كرامٌ سادةٌ لِمُسَوَّدِ

أنا الرّجُلُ الضَّرْبُ الذي تَعرِفونَهُ * خَشاشٌ كرأسِ الحيّةِ المُتَوَقّدِ

فآلَيْتُ لا يَنفَكُّ كَشْحي بِطانَةً * لِأَبيضَ عَضْبِ الشَّفرتين مُهنَّدِ

حُسامٍ إذا ما قُمْتُ مُنْتَصِراً به * كَفَى العَودَ منه البدءُ ليسَ بِمَعْضَدِ

أخي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عن ضَرِيبةٍ * إذا قيلَ مهلاً قالَ حَاجِزُهُ قَدِي

إذا ابتدرَ القومُ السلاحَ وَجَدْتِني * مَنِيعاً إذا بَلَّتْ بقائِمِهِ يدي

وبَرْكٍ هُجودٍ قد أثارتْ مَخَافَتِي * نوادِيَهُ أمشي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ

فَمَرَّت كَهاةٌ ذاتُ خَيفٍ جُلالَةٌ * عَقيلَةُ شَيخٍ كَالوَبيلِ يَلَنْدَدِ

يقولُ وقد تَرَّ الوَظِيفُ وساقُها * أَلَسْتَ ترى أنْ قد أَتَيْتَ بمُؤْيِدِ

وقال ألا ماذا ترونَ بشاربٍ * شديدٍ علينا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ

وقالَ ذَرُوهُ إنما نَفْعُها لهُ * وإلاّ تَكُفّوا قاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ

فظلَّ الإماءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَها * ويُسْعَى علينا بالسَّدِيفِ المُسَرْهَدِ

فإنْ مُتُّ فانْعِيني بما أنا أهلهُ * وشُقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنة معْبَدِ

ولا تَجْعَلِيني كامرىءٍ ليسَ هَمُّهُ * كهمّي ولا يُغني غَنَائِي وَمَشْهَدِي

بطيءٍ عنِ الجُلّى سريعٍ إلى الخَنى * ذلولٍ بأجماعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ

فلو كُنْتُ وَغْلاً في الرّجالِ لَضَرّني * عداوةُ ذي الأصحابِ وَالمُتَوَحِّدِ

ولكِنْ نَفى عنّي الرّجالَ جَراءتي * عليهِم وإقدامِي وصِدْقي ومَحْتِدِي

لَعَمْرُكَ ما أمْري عليّ بغُمّةٍ * نهاري ولا ليلي عليَّ بِسَرْمَدِ

ويومَ حبستُ النفسَ عندَ عِرَاكِهِ * حِفاظاً على عَوراتِهِ والتَّهَدُّدِ

على مَوطِنٍ يخْشى الفتى عندَهُ الرَّدَى * متى تَعْتَرِكْ فيه الفَرائِصُ تُرْعَدِ

وأصفرَ مضبوحٍ نظرتُ حواره * على النارِ واستودعتهُ كفَّ مُجْمِدِ

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جَاهِلاً * ويأتِيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزَوِّدِ

ويَأتِيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تَبِعْ له * بَتاتاً و لم تَضْرِبْ له وقْتَ مَوعِدِ

١

لِخَولَةَ أَطْلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ * تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

- خولة: اسم محبوبته.
- الأطلال: ما بقي من آثار الديار.
- برقة: المكان المرتفع في الأرض المنبسطة.
- ثهمد: موضع.
- تلوح: تبدو بصورة غير واضحة.
- كباقي الوشم: ما بقي من العلامات التي تضعها المرأة على كفها للزينة.
- في ظاهر اليد: في ظاهر الكف.

- لما وقف الشاعر في مكان مرتفع وسط أرض منبسطة في موضع يقال له (ثهمد) وجد محبوبته خولة وقومها قد رحلوا ولم يبق من ديارهم إلا بعض الآثار التي تلوح بشكل غير واضح، تماماً كما يبقى من علامات الوشم في ظاهر كف المرأة مع طول الوقت[١].

[١] في بعض الروايات بعد هذا البيت: فروضةُ دِعميٍّ فأكنافُ حائلٍ * وقفتُ بها أَبكي وأُبكي إلى الغد. والأسماء في الشطر الأول مواضع، ومعنى الشطر الثاني أنه لشدة بكائه تأثر به من حوله فبكوا.

٢

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطيَّهُم *يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ

- وقوفاً: متوقفين.
- بها: ببرقة ثهمد.
- صحبي: جمع صاحب.
- مطيهم: المطي الإبل.
- لا تهلك أسى: لا تقتل نفسك حزناً على محبوبتك.
- تجلد: أظهر الصبر والجَلَد على المصيبة.

- لما فوجئ الشاعر برحيل محبوبته وأنه لم يبق من ديارهم إلا الأطلال؛ أخذه من الحزن والهم والغم ما أخذه، ولذا راجعه أصحابه حاثين له على التصبر والتجلد حتى لا يقتله الحزن الذي أصابه.

٣

كَأَنَّ حُدوجَ المالِكيَّةِ غُدوَةً * خَلايا سَفينٍ بِالنَواصِفِ مِن دَدِ

- حدوج: الحدوج مراكب النساء التي توضع فوق الجمال (واحدها حِدْج).
- المالكية: محبوبته خولة ، وهي من بني مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة.
- غدوة: أول النهار.
- خلايا سفين: أشرعة سفن.
- النواصف: أماكن منبسطة واسعة.
- دد: موضع.

● هذا البيت أولُّ ثلاثة أبيات في وصف مراكب النساء المحمولة فوق الجمال التي أقلت خولة أول النهار حين رحلوا، فيبتدئ هنا بتشبيهها بأشرعة سفن تمخر عباب الأماكن المنبسطة والواسعة في موضع يقال له (دد).

٤

عدوليةٌ أو من سفين ابن يامنٍ * يجورُ بها الملّاح طوراً ويهتدي

- عدولية: سفن منسوبة إلى جزيرة عَدَوْلَى من جزر البحرين.
- ابن يامن: تاجر سفن من أهل هجر مشهور وقتها.
- يجور: يبتعد عن الطريق الصحيح المقصود.
- يهتدي: يعود إلى الطريق الصحيح المقصود.

● ثم يصف جودة هذه السفن التي شبّه بها الجمال بأنها من أجود السفن وأقواها كتلك التي تشتهر بها جزيرة عَدَوْلَى أو يملكها تاجر السفن المشهور (ابن يامن). وهذه السفن يسير بها الملاح حائداً عن المسار الصحيح كلما احتاج لذلك ثم يعود إلى المسار الصحيح، تماماً كما يفعل الحداة حين يسوقون الإبل على سمت الطريق تارة، وتارة يميلونها عن الطريق ليختصروا المسافة. وهو تصويرٌ بديعٌ كما ترى!

٥

يشقُّ حَبَابَ الماءِ حيزومُها بها * كما قَسَمَ التُّربَ المُفايِلُ باليَدِ

- يشق: يقسم إلى نصفين.
- حباب الماء: سطح ماء البحر.
- حيزومها: صدر السفينة.
- بها: بالسفينة.
- الترب: التراب.
- المفايل: الصبي الصغير يلعب لعبة المفايلة حين يُخفى شيءٌ في التراب ثم يقسمه المفايلُ قسمين ثم يختار القسم الذي يتوقع أن يكون المخبأ فيه.

- يصف الشاعر مسير هذه السفن في البحر حين يشق مقدمُ السفينة ماءَ البحر قسمين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال؛ مثل ما يفعل الطفل في لعبة المفايلة حين يقسم التراب شقين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال.

٦

وفي الحيِّ أَحْوَى ينفضُ المَرْدَ شَادِنٌ * مُظاهِرُ سِمْطَيْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرجَدِ

- الحي: مكان إقامة القبيلة.
- أحوى: ظبي في شفتيه سمرة.
- ينفض المرد: المرد الثمر، وهذا الظبي عندما يرفع رأسه لأغصان الأراك يتساقط عليه الثمر، ويفعل هذا لاعباً لا طالباً للأكل.
- شادن: غزال صغير قوي قد استغنى عن أمه.
- مُظاهِر: متقلدٌ ثوباً فوق ثوب أو درعاً فوق درع أو قلادةً فوق قلادة.
- سمطي: قلادتين من اللؤلؤ والزبرجد. (والمقصود هنا المحبوبة خولة).

- هذا البيتُ مفتتح خمسة أبيات أنشأها الشاعر للتغزل بمحبوبته خولة. وهنا يشبهها بظبي صغير مدلل كحيل العينين أسمر الشفتين حَسَنِ الجِيْد قد لبس قلادتين من اللؤلؤ والزبرجد، ينفض ثمار الأراك لتتساقط على الأرض لا عن حاجة للأكل ولكن فعل التدلل والغنج.

٧

خَذُولٌ تُرَاعِي رَبْرَباً بِخَمِيلةٍ * تَنَاوَلُ أطرافَ البَرِيرِ وتَرْتَدي

- خذول: غزالٌ خذلت صواحبها وتخلفت عن القطيع لتقيم على ولدها.
- تراعي: تتطلع إلى.
- ربرباً: الربربُ قطيع الظباء.
- خميلة: الأرض اللينة السهلة ذات الشجر.
- البرير: ثمر الأراك.
- ترتدي: غطتها الأغصان فكأنها ارتدتها.

- وهذا الظبي ذا حنو على ولده، ولهذا يتخلف عن القطيع ليرعى ولده في أرضٍ لينة ذات شجر وثمر، ويقف تحت أشجار الأراك التي من كثافة أغصانها تبدو كالرداء له حين يتناول ثمارها. والشاعر هنا يشبّه طول عنق الحبيب بالظبي حين تمد عنقها إلى الثمار، ويخص الخذول لأنها تكون فزعةً على ولدها، ويذكر انفرادها ليكون ذلك أوضح في ظهور محاسنها إذ لو كانت ضمن القطيع ما استبان من حسنها ما يكون إذا انفردت.

٨

وتبسمُ عن ألَمَى كأنَّ مُنوراً * تَخَلَّلَ حُرَّ الرّمْلِ دِعْصٌ له نَدي

- تبسم عن ألمى: تبتسم عن ثغر شفاهه سمر وأسنانه ناصعة البياض.
- منوراً: المنور زهر الأقحوان. (يشبه بياض الأسنان ببياض زهر الأقحوان)
- تخلل حر الرمل: أي أنَّ هذا الأقحوان نَبَتَ وسط رملة حسنة طيبة.
- دعص: كثيب رمل.
- ندي: في أسفله بقايا ماء.

● ثم ينتقل للتغزل بأسنان المحبوبة الناصعة البياض، ويشبهها بزهر أقحوانٌ شديد البياض وقد نبت في كثيب رمل ندي.

٩

سقتهُ إياةُ الشمس إلا لثاتهُ * أُسِفَّ ولم تَكْدِم عليهِ بإثمدِ

- سقته: أي حسَّنت وبيّضت الفم.
- إياة الشمس: ضوؤها وإشراقها، والمقصود هنا بياض الأسنان.
- لثاته: اللثة.
- أسف: ذر عليها.
- إثمد: الكحل.
- لم تكدم عليه: لا تعض بأسنانها على العظام حين تأكل، بل تأكل اللحم وتترك العظم لأنها مترفة راقية في أدبها بعيدة عن الشراهة.

- ويواصل وصف بياض الأسنان التي كأنما ألقت الشمس عليها من ضوئها وبهائها. وأما الشفتان فلونهما مثل لون الكحل على سنن نساء العرب وقتها إذ كُنَّ يذررن الإثمد على الشفاه واللثات ليكون أشد للمعان الأسنان.

١٠

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ حَلَّتْ رِدَاءَهَا * عَلَيْهِ نَقِيَّ اللّونِ لمْ يَتَخَدّدِ

- ووجهٌ: وجه خولة.
- حلت رداءها: ألقت ضوءها وإشراقها.
- عليه: على هذا الوجه.
- نقيَّ اللون: صافي اللون لم يخالطه شحوب ولا ذبول.
- لم يتخدد: لم يتجعد، أي أنها في سن الشباب والنضارة.

● ثم يختم الشاعر أبياته الخمسة التي خصصها للتغزل في محبوبته خولة، فيتغزل هنا بجمال وجهها وصفاء لونه ونضارة بشرته فكأنما ألقت الشمس عليه ضوءها وإشراقها فأكسبته نضارةً وبهاءً.

١١

وإنّي لأُمضي الهمَّ عند احتِضارهِ * بعوجاءَ مِرْقَالٍ تروحُ وتغتدي

- أُمضي الهم: أُبعده وأُزيله.
- احتضاره: حضوره ونزوله.
- بعوجاء: أي بالسفر فوق ناقة ضامرة قد اعتادت السفر.
- مرقال: قوية سريعة.
- تروح: تسير في آخر النهار.
- تغتدي: تسير في أول النهار.

- من هنا يبدأ الشاعر في مدح ناقته ووصفها بأوصاف أسطورية تفصيلية لكل أحوالها وأعضاء جسمها في صور بلاغية رائعة أخّاذة، وقد استغرق هذا المقصد منه ٣٣ بيتاً أي حوالي ثلث المعلقة. ويبدأ بإخبارنا أنه حين تصيبه هموم الحياة فإنَّ أجمل ما يُذهب عنه تلك الهموم أن يمتطي ظهر ناقته الضامرة القوية التي لا تتعب من السير صباحاً ومساءً بل تصل سير النهار بالليل وسير الليل بالنهار لفرط قوتها ونشاطها.

١٢

أَمُونٍ كألواحِ الإِرَانِ نَسَأْتُها * عَلى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهرُ بُرجُدِ

- أمون: مأمونة العثار والتعب والزلل.
- ألواح الإران: خشب النعش الذي تحمل فوقه الجنازة.
- نسأتها: قُدتها ودفعتها للسير ضرباً بالمنسأة وهي العصا. وفي بعض الروايات: نصأتها، والمعنى واحد.
- لاحب: مستقيم واضح نهايته بعيدة.
- بُرجُد: كساء فيه خطوط مختلفة. (يشبه هنا الطريق بهذه الخطوط في البرجد)

- هذه الناقة لا يمكن أن تتعثر أو تتعب، بل هي قوية متينة الخِلقة، تماماً كصلابة ومتانة خشب النعش الذي تحمل عليه الجنازة بحيث يُضمن عدم تأثره أو انكساره. كل هذا بالرغم من أنه يضربها بالعصا لتسير في طريق مستقيم طويلٍ بعيدِ المنتهى كأنه تلك الخطوط التي تكون في ظهر البرجد.

١٣

جَماليّةٌ وَجْناءُ تَردي كأنّها * سَفَنّجَةٌ تَبري لأزعَرَ أربَدِ

- جمالية: ناقة تشبه الجمل في قوة جسمها.
- وجناء: مكتنزة اللحم.
- تردي: تسرع في العدو.
- سفنجة: نعامة.
- تبري: تعرض.
- أزعر: قليل الشعر.
- أربد: لونه لون الرماد.

● هذه النّاقة قويّة تامة الخِلقة سريعة العدو، ذلك أنها تشبه الجمل في وثاقة خلقها واكتناز لحمها، وهي مع ذلك سريعة الجري كأنها نعامةٌ تعرض لذكرها المتصف بقلة الشعر ورماد اللون.

١٤

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وأُتْبَعَتْ * وَظِيفاً وَظِيفاً فَوق مَورٍ مُعبَّدِ

- تباري: تسابق.
- عتاقاً: إبلاً أصيلة كريمة (تكون الناقة كذلك إذا كانت من فحل معروف).
- ناجيات: سريعات.
- أتبعت: لاحقت.
- وظيفاً: الوظيف مقدم الساق، وفي اليدين هو ما بين الخف والركبة، وفي الرجلين ما بين الخف والعرقوب.
- مور: طريق.
- معبد: ممهد مطروق.

● هنا يمدح ناقته بسرعة حركتها حين تتبع مقدم رجلها بمقدم يدها في حركة مستمرة سريعة تجعلها تسبق الإبل الكريمة السريعة حين تمشي في طريق ممهد.

١٥

تَرَبَّعَتِ القُفَّينِ في الشَّوْلِ تَرْتَعِي * حَدائقَ مَوْلِيِّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ

- تربعت: رعت وقت الربيع.
- القفين: موضعان، والقف ما ارتفع من الأرض.
- الشول: جماعة الإبل التي جفت ضروعها وقلّت ألبانها.
- ترتعي: ترعى.
- حدائق: رياض.
- موليّ: من الوَلِي وهو المطر بعد مطر سابق (إشارة إلى الخصب).
- الأَسِرّة: بطون الأودية.
- أغيد: ريان بالماء مزدان بالنبات.

● هذه الناقة تُمضي وقت الربيع بالرعي في أماكن مرتفعة وسط جماعة الإبل الراتعة في رياضٍ ريّانةٍ خصبةٍ بالعشب والكلأ لتتابع المطر عليها.

١٦

تَرِيعُ إلى صَوْتِ المُهيبِ وتَتّقي * بِذي خُصَلٍ رَوعاتِ أكْلَفَ مُلبِدِ

- تريع: تعود وتعطف وترجع.
- المهيب: الراعي.
- تتقي: تمنع نفسها من الفحل.
- بذي خصل: برفع ذنبها ذي الخصل المجتمعة من الشَّعَر.
- روعات: هجمات.
- أكلف: فحل أحمر يميل إلى السواد.
- مُلبِد: هائج للضِّراب.

- هذه الناقة طيِّعة متى ناداها الراعي عادت إليه، إلا أنها تمنع نفسها من الفحل الهائج للضراب برفع ذنبها تريه أنها لاقح بينما هي تفعل ذلك لئلا تلقح، وبذلك تكون مجتمعة القوة وافرة اللحم قادرة على السير والعدو بخلاف إذا لقحت فحملت.

١٧

كأنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تكنّفا * حِفَافَيْهِ شُكّا في العَسِيبِ بِمِسْرَدِ

- مضرحي: المضْرَحِيّ النسر الأحمر الذي يضرب لونه إلى البياض.
- تكنفا: أحاطا (أي الجناحين).
- حفافيه: جانبيه (أي جانبي ذيل الناقة).
- شُكّا: أُدخلا.
- عسيب: عظم الذنب.
- المسرَد: مِثقب يستعمله الخرَّاز.

- ثم يمدح ذيل ناقته ويصفه بالعِظَم والقوة فكأنه محاط بجناحي نسر أحمر، وهو مثبت في موضعه بإحكام.

١٨

فَطَوراً بِهِ خَلْفَ الزَّمِيلِ وَتارةً * على حَشَفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَدَّدِ

- طوراً: مرة ترفع ذنبها حتى تضرب به خلف الزميل.
- الزميل: الرديف، وهو الرجل يركب مع صاحب الجمل ويجلس خلفه.
- وتارة: مرة تضرب بذيلها إلى أسفل.
- حشف: الضرع المنقبض اليابس.
- ذاو: ذابل.
- مجدَّد: خال من اللبن.

● هذا الذيل تارة ترفعه الناقة لتضرب به ظهر الراكب الرديف، وتارة تضرب به أسفل على ضرعها اليابس الذابل.

١٩

لها فَخِذانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فيهما * كأنَّهُما بابا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ

- لها: للناقة.
- فخذان: الفخذ ما بين الساق إلى الورك.
- أُكْمِلَ: امتلأ وتمَّ.
- النَّحْضُ: اللحم.
- فيهما: في الفخذين.
- مُنيف: قصر مشرف.
- ممرد: طويل.

- بعد أن وصف الشاعر ذيل النّاقة انتقل لوصف الفخذين، فشبههما لعظمهما وامتلائهما لحماً ببابي قصر منيف كبير.

٢٠

وطَيٍّ مَحالٍ كالحَنيّ خُلوفُهُ * وأجرِنَة لُزّتْ بِدأيٍ مُنَضَّدِ

- وطي محال: لها محال مطوية، أي فقرات متلاصقة متراصفة (عددها ١٢ في ظهر الناقة).
- الحني: الأقواس.
- خلوفه: الخُلوف هي نهايات الأضلاع من الأسفل (يشبه أضلاع ناقته بالأقواس المحنية).
- الجِران: باطن الحلقوم في رقبة الناقة.
- نُزَّت: ألصقت.
- بدأي: الدأي الفقرات العظيمة في منطقة الرقبة، وعددها سبع.
- منضد: على نسق ونظام دقيق.

- ثم ينتقل من وصف الفخذين لوصف الرقبة والأضلاع، فالرقبة ذاتُ فقرات متراصفة بإحكام، والأضلاع كأنها أقواس محنية مثبتة على نسق عجيب.

٢١

كَأَنَّ كِناسَي ضَالَةٍ يَكنِفَانِها * وَأَطْرَ قِسيٍّ تَحتَ صُلبٍ مُؤَيَّدِ

- الكِناس: موضع تحت الشجر تستتر فيه الظباء.
- الضالَة: السدر البري.
- يكنفانها: يحيطان بها.
- وأطر قسي: يشبه ضلوع الناقة بأقواس معطوفة.
- صُلب: ظهر.
- مُؤَيَّد: قوي.

● يشبه هنا إبطي الناقة في السعة ببيتين من بيوت الوحش في أصل شجرة. وَسِعَةُ الإبط في الناقة ممدوح لأنه أبعد لها من العثار والتأخر في السير. ويشبه أضلاعها بالقسي المعطوفة تحت ظهر قويٍّ متين.

٢٢

لَها مِرفَقانِ أَفتَلانِ كَأَنَّها * تَمُرُّ بِسَلْمَي دالِجٍ مُتَشَدَّدِ

- لها: للناقة.
- مرفقان: المرفق أعلى الذراع إلى العضد (في يد الناقة).
- أفتلان: قويّان شديدان بعيدان عن الزور كبعد سَلْمَي دالج.
- سَلْمَي دَالِج: السَّلْم هو الدلو يُحمل بعروة واحدة، والدالج هو الرجل يحمل هذين الدلوين ليصبهما في الحوض لتشرب الإبل حيث أنه سيبعد هذين الدلوين عنه حتى لا يبللانه بالماء، ومثله يبتعد مرفقا الناقة عن زورها.

- يصف ناقته بأنَّ لها مرفقان قويّان شديدان بائنان عن جنبيها فكأنها تمر مع دلوين من دلاء الداجين الأقوياء. يشبهها بسقَّاء حمل دلوين إحداهما بيمينه والأخرى بشماله فبانت يداه عن جنبيه.

٢٣

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا * لَتُكْتَنَفَنْ حَتَّى تُشَادَ بِقِرْمِدِ

- القنطرة: الجسر.
- أقسم ربها: حلف بانيها بأن يشيدها.
- لتكتنفن: أي يبدأ ببنائها من أطرافها (واللام للقسم).
- تشاد: تبنى.
- بقرمد: القرمد الآجُرُّ القويُّ الذي يتحمل سير الناس عليه. (وجه الشبه بين الجسر والناقة: ارتفاع قدميها ورجليها وانحناء ظهرها كانحناء الجسر، والقوة في كليهما)

● يشبه الناقة في تراصف عظامها وتداخل أعضائها بقنطرة تبنى لرجل رومي قد حلف صاحبها ليحاطن بها حتى ترتفع وتجصص بالآجر، وخص الرومي بالذكر لأنه أحكم عملاً.

٢٤

صُهابِيّةُ العُثْنونِ مُوجَدَةُ القَرَا * بعيدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّاةُ اليَدِ

- صهابية: إبل يضرب لونها إلى الحمرة.
- العثنون: ما تحت اللحيين من الشعر.
- موجدة القرا: قوية الظهر.
- وَخْد الرِّجل: دفع الرِّجل إلى الخلف مسافة واسعة.
- مَوَّارة اليد: متدفقة السير.

- يصف الناقة بأنَّ في شعرها الذي تحت اللحيين حمرة، وفي ظهرها قوة، وبأنَّ خطواتها واسعة فهي متدفقة في سيرها.

٢٥

أُمِرَّتْ يداها فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ * لها عَضُداها في سَقِيفٍ مُسَنَّدِ

- أمرت يداها: فتلت يداها فتلاً شديداً حتى صارتا صلبتين.
- فتل شزر: ابتعدت يداها عن الزور إلى الخارج.
- وأجنحت: ثبتت.
- سقيف مسند: صفائح حجارة متساندة، ويعني بالسقيف هنا الزور.

- وهنا يواصل ذكر الأوصاف العجيبة لناقته فيتكلم عن قوة يديها وعدم التصاقها بالجسم، وبقوة عضديها وصلابة تثبيتهما في الصلب.

٢٦

جَنوحٌ دَفَاقٌ عَنْدَلٌ ثُمَّ أُفْرِعَتْ * لها كَتِفاها في مُعَالىً مُصَعَّدِ

- جَنوحٌ: تميل في سيرها تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال لفرط نشاطها.
- دفاق: متدفقة في سيرها لقوتها.
- عندل: ضخمة الجسم أو الرأس.
- أُفرعت: رُفعت.
- مُعَالىً: متجه إلى أعلى (مرتفع).
- مُصَعَّدِ: متجه إلى فوق (يشير إلى سنامها).

● وهنا يصف الناقة بقوة النشاط في السير، وعظم الرأس، وعلو الكتفين.

٢٧

كَأَنَّ عُلوبَ النَّسْعِ في دَأَيَاتِها * مَوَارِدُ مِن خَلْقاءَ في ظَهْرِ قَرْدَدِ

- علوب: العلوب الآثار والعلامات (واحدها عَلْب).
- النَّسْع: الحبال التي تثبت الرحل فوق ظهر الناقة.
- دأياتها: ضلوع جنبيها.
- موارد: علامات.
- خلقاء: ملساء.
- ظهر قردد: سطح أرض صلبة مستوية.

● يشبه هنا الآثار التي تركتها الحبال في ظهر الناقة بالآثار التي تتركها صخرة ملساء إذا سُحبت فوق ظهر طريق مستو.

٢٨

تَلاقَى وأحياناً تَبينُ كأنَّها * بَنائِقُ غُرٌّ في قميصٍ مُقَدَّدِ

- تلاقى: تتقاطع آثار النسع في جنب الناقة.
- تبين: تتباعد.
- بنائق: جمع بِنَقَة وهي عُروة القميص.
- غُرّ: بِيض.
- قميص مقدد: قميص قديم متقطع.

- هذه الآثار في جنب الناقة تراها تارة متلاقيةً، وأحياناً متباعدةً. شبَّه ذلك بِعُرَى القميص القديم، أحياناً تكون العروة داخلة في الفتحة وأحياناً مع الحركة تنفصل (وهي صورة عجيبة من التشبيه).

٢٩

وأَتْلَعُ نَهّاضٌ إذا صَعّدَتْ به * كسُكّانِ بُوصِيٍّ بدجلةَ مُصْعِدِ

- أتلع: عنق الناقة الطويل المرتفع.
- نهّاض: يرتفع إذا سارت.
- إذا صعَّدت به: إذا أشخصته في السَّماء.
- سُكّان: دفة السفينة أو الصاري.
- بوصي: السفينة وقيل الملاَّح (فارسيَّة معرَّبة).
- دجلة: نهر دجلة.
- مصعد: مرتفع في النهر أي يسير عكس الاتجاه.

● ثم يصف الشَّاعر عنق ناقته، فيذكر هنا طوله وحركته السريعة حال نهوض الناقة، ويشبه ذلك بدفة السفينة في حال جريها مصعدة في نهر دجلة.

٣٠

وجمجمةٌ مثلُ العَلاةِ كأنَّما * وَعَى المُلْتَقَى مِنْها إلى حَرْفِ مِبْرَدِ

- العَلاة: السندان التي يضرب عليها الحدَّاد حديده.
- وعى الملتقى: موضع التئام عظام رأس ناقته.
- حَرْف: الطرف الأعلى.
- مِبْرد: آلة برد الحديد.

- يشبه هنا رأس ناقته في صلابته بالسندان، وفي تناسقه وقوته وتماسكه بالمبرد. وهذا التشبيه فريدٌ لم يأت به سوى طرفة كما قال الأصمعي.

٣١

وَخَدٍّ كقرطاسِ الشآمي ومِشْفَرٌ * كسِبْتِ اليماني قدُّه لم يُحَرَّدِ

- وخدّ: خد ناقته (وفي بعض الروايات: ووجهٌ).
- قرطاس: ورق.
- الشآمي: منسوب إلى بلاد الشام (يقصد خلو وجه ناقته من الشعر).
- مشفر: شفة الناقة.
- سِبت: حذاء.
- قده: جلده.
- لم يحرد: لم يُبعد عن الجلد شعره. (وفي بعض الروايات: لم يجرد)

- يشبه الشاعر هنا خد ناقته بالورق الشآمي بجامع النعومة والملوسة، ويشبه شفتها بالحذاء السِّبتي الذي يتميز بعدم نزع الشعر عنه وكذلك يجمل في الناقة أن تتهدل مشافرها وتطول وتلين. وخص الشآمي لأنهم أهل كتاب، واليماني لأنهم ملوك ونعالهم أحسن النعال ودِباغهم أحسن الدِّباغ.

٣٢

وعينانِ كالمَاوِيَّتيْنِ استَكَنَّتَا * بِكَهْفَيْ حِجَاجَيْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ

- الماويتان: المرآتان.
- استكنتا: استقرتا في كِنّ.
- الكهف: الغار.
- الحِجاج: العظم المشرف على العين.
- القَلْت: حفرة في الجبل يجتمع فيها الماء.
- مورد: يرتد إليها ماء المطر ولا يستطيع الناس الوصول إليها فيبقى ماؤها صافياً.

● في هذا البيت والذي يليه يمتدح الشاعر عيني ناقته، فيشبه هنا صفاءهما بصفاء ماء حفرة استقرت بين صخور أحد الكهوف فلا تصل إليها يد بشر، وهذا يجعلها تحتفظ بنقائها وصفائها. كما يصفهما بأنهما غائرتان في الحِجاج وهي خصلةُ حُسْنٍ في النّاقة.

٣٣

طَحُورانِ عُوّارَ القذى فتراهُما * كمكحولَتيْ مَذْعُورَةٍ أُمِّ فرقدِ

- طحوران: يشير إلى العينين أنهما تطحران أي ترميان وتطرحان القذى.
- عوار القذى: قطع القذى وهو ما تفرزه العين نتيجة الرمد أو الالتهابات.
- فتراهما: أي هاتين العينين.
- كمكحولتي مذعورة: مثل عينيْ بقرة وحشية مذعورة خائفة.
- الفرقد: ولد البقرة.

- وفي هذا البيت يمتدح العينين بأنهما تطرحان وتُبعدان القذى عن نفسيهما، ويشبههما بعيني بقرة وحشية لها ولد وقد أفزعها صائد، وعيني البقرة الوحشية في هذه الحالة أحسن ما تكون.

٣٤

وصادِقَتا سَمْعِ التوجُّسِ للسُّرى * لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أو لصَوْتٍ مُندّدِ

- وصادقتا سمع التوجس: لا يفوتها الصوت الخافت.
- للسرى: وقت مسيرها بالليل.
- الهجس الخفي: الصوت الخافت المكتم.
- الصوت المندد: الصوت العالي المسموع.

- وكما وصف عيني الناقة ببيتين؛ يصف الأذنين ببيتين كذلك. ففي هذا البيت يبين كيف أنَّ ناقته حادة السمع، تسمع الصوت الخفي كما تسمع الصوت المرتفع.

٣٥

مُؤَلَّلتانِ تَعْرِفُ العِتقَ فِيهِما * كسامِعَتيْ شاةٍ بحوْمل مُفْرِدِ

- مؤللتان: محددتان كتحديد الحربة.
- تعرف العتق فيهما: ما إن تراهما حتى تعرف أن هذه الناقة كريمة نجيبة لارتفاعهما وقلة وبرهما.
- حومل: موضع.
- مفرد: المقصود بقرة وحشية ترعى لوحدها.

- وهنا يصف الجمال الخلقي لأذني الناقة وكيف أنهما محددتان كالحربة، ما إن تراهما حتى تعرف نجابة هذه الناقة لارتفاعهما وقلة وبرهما. ثم يشبههما بأذني بقرة وحشية فريدة ترعى بموضع يقال له حومل، وكونها فريدة يعني أنه لا وحش معها يشغلها ويلهيها، وبالتالي فهي أشدَّ تسمعاً وارتياعاً.

٣٦

وَأَرْوَعُ نَبّاضٌ أحَذٌّ مُلَمْلَمٌ * كَمِرداةِ صَخرٍ في صَفِيحٍ مُصَمَّدِ

- أروع: قلب الناقة إذا كان مستفَزاً متأهباً.
- نبّاض: سريع الخفقان.
- أحذ: ذكي.
- ململم: ملموم مجتمع.
- مرداة صخر: صخرة قوية قطعت من صخر صلب جدًّا.
- صفيح مصمد: صخر متماسك.

● وهنا ينتقل لوصف قلب النّاقة فيخبرنا أنّه لفرط نباهتها وذكائها يرتاع قلبها لأدنى شيء، مع سرعة حركةٍ فيه وخفة وصلابة، تماماً كحجر صلب ملقىً بين حجار عِراض.

٣٧

وأعلمُ مخروتٌ من الأنفِ مارنٌ * عَتيقٌ مَتى تَرجُمْ به الأرضَ تَزدَدِ

- أعلم: مِشْفر.
- مخروت: مشقوق.
- مارن: ليِّن.
- ترجم به الأرض: تدني رأسها من الأرض.
- تزدد: تزيد في سرعتها.

- ويستمر الشاعر في ذكر الأوصاف الخَلقية الفريدة لناقته، فيذكر أنَّ لها مشفراً مشقوقاً، وأنفاً ليِّناً مثقوباً، وأنها متى رمت جهة الأرض بأنفها ورأسها ازدادت في سرعة سيرها.

٣٨

وإنْ شئتُ لم تُرْقِلْ وإن شئتُ أرقَلتْ * مخافةَ مَلويٍّ من القدِّ مُحْصَدِ

- الإرقال: المشي بدرجة دون العدو.
- مُحْصَدْ: مُحْكَم.

- يقول طرفة ولا زال في طور وصف ناقته الأسطورية: إن أردتُ منها سيراً بطيئاً أطاعتني في التأني، وإن طلبتُ منها سيراً سريعاً اندفعت مسرعةً خوفاً من سوط ملوي محكم الفتل.

٣٩

وإن شِئتُ سامى واسِطَ الكورِ رأسُها*وعامت بضبعيها نجاءَ الخفيْدَدِ

- سامى: ارتفع.
- واسط الكور: العود في مقدمة الشداد الأمامية.
- عامت: سبحت.
- بضبعيها: بعضديها.
- نجاء الخفيدد: سارت مسرعة مثل سرعة الظُّليم وهو ذكر النعامة الذي يطلب النجاة من خطر يتهدده.

- واستمراراً لبيان طواعية الناقة لرغبته يقول: إن شئتُ جعلتُ رأسها موازياً للعود في مقدمة الشِّداد فأسرعت في سيرها وسبحت بعضديها في الهواء إسراع ذكر النعام في جريه.

٤٠

على مثْلِها أَمضي إذا قال صاحبي * ألا لَيتَني أَفديكَ منها وأَفْتَدي

- على مثلها أمضي: على مثل هذه الناقة أسافر.
- ألا ليتني أفديك منها: أفديك من الفلاة التي يسير فيها الشاعر وصاحبه.

● على مثل هذه الناقة أمضي في أسفاري حتى يقول صاحبي ألا ليتني أفديك من هذه المشقة فأخلصك منها وأخلص نفسي.

٤١

وجاشَتْ إليه النّفسُ خوفاً وخالَهُ ✻ مُصاباً ولو أمسى على غَيرِ مَرْصَدِ

- جاشت إليه: طارت نفسه من الخوف.
- خاله مصاباً: ظن ذلك الصديقُ طريق السفر مهلكة ستقضي عليه.
- على غير مرصد: مع أنه لا يوجد هعناك من يترصده.

● يصور الشاعر صعوبة وخطورة السفر في هذه الفلوات، الأمر الذي جعل رفيق رحلته يتوقع هلاكه مع أنّه يمضي في طريق لا يُعرف وجود قطّاع طرق يترصدون سالكها، أي أنها بذاتها مهلكة.

٤٢

أَحَلْتُ عليها بالقَطيعِ فأجذَمتْ * وقد خبَّ آلُ الأَمعزِ المتوقدِ

- أحلت عليها: أقبلتُ عليها.
- القطيع: السوط.
- أجذمت: أسرعت.
- خبّ: تحرك واضطرب وتراءى.
- آلُ: الآلُ هو السَّراب الذي يكون عند نصف النهار حين اشتداد الحرّ.
- الأمعز: المكان الكثير الحصى.
- المتوقد: الذي يكاد يشتعل من شدة حرارة الشمس من فوق وتوهج الحصى من أسفل.

● يقول: أقبلتُ على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت في السير في يوم شديد الحرارة، قد تراءى فيه السراب يتحرك ويضطرب فوق مكان كثير الحصى يكاد لشدة حرارة الصخور وحرارة الشمس يشتعل ناراً.

٤٣

فَذَالَت كما ذَالَت وَلِيدةُ مَجْلِسٍ * تُرِي رَبَّها أذيالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ

- ذالت: ماست في سيرها وتبخترت.
- وليدة مجلس: الجارية المملوكة.
- تُري ربها: تستعرض أمام مالكها.
- سَحْل ممدد: ثوب أبيض واسع.

● في ظروف السفر الصعبة التي وصفها الشاعر في البيت السابق وقد اشتد الحرّ وتراءى السراب في طريق المسافر؛ نرى ناقة طرفة تتبختر وتميس وتتيه في سيرها صنيعَ جاريةٍ ترقص بين يدي سيدها تريه ذيل ثوبها الأبيض الطويل.

٤٤

إذا القومُ قالوا مَن فَتًى خِلتُ أنّني * عُنِيتُ فلمْ أكسَلْ ولم أتبَلّدِ

- القوم: الرجال.
- من فتىً: من الفتى يقوم بأمر عظيم؟
- خلتُ: حسبتُ.
- عُنيت: قُصدتُ.

● وبعد ثلاثة وثلاثين بيتاً وصف فيها طرفة ناقته انتقل للفخر بأوصافه وخصاله هو، وسيذكر هذا في ستة وعشرين بيتاً يفصل بينها بأبيات في نظرته للموت والحياة. وهنا يبدأ مسيرة الفخر الذاتي بالحديث عن شجاعته الفريدة، وذلك أنَّ قومه إذا نادوا باحثين عمن يتصدى لأمر عظيم دهمهم حَسِبَ أنه هو المقصود لأنه لا ينادى في العظائم والمدلهمات غيره، فقام مبتدراً دون كسل أو تبلد.

٤٥

ولستُ بحلاّل التِّلاعِ مخافةً * ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ

- حلاّل: مبالغة من الحلول وهو السكن.
- التلاع: مسايل الماء في الأرض المنخفضة.
- يسترفد: يطلب الرفد وهو العطاء.

- وبعد تمدحه بالشجاعة في البيت السابق يتمدح هنا بالكرم، فيخبرنا أنه لا يختار السكنى في التِّلاع استتاراً ومخافةً من الضيوف، ولكنه يسكن الأماكن العالية حتى يراه الضيوف والمحتاجون فيقصدوه.

٤٦

وإنْ تَبْغِنِي في حَلْقَةِ القومِ تلْقَنِي * وإنْ تَلْتَمِسْنِي في الحوانيتِ تَصْطَدِ

- تبغني: تطلبني.
- حلقة القوم: مجلسهم وناديهم.
- تلتمسني: تبحث عني (وفي بعض الروايات: تقتنصني)
- الحوانيت: بيوت الخمّارين.

- وبعد الشجاعة والكرم يفتخر بأنه يجمع بين الجد والهزل كلٌّ في وقته، فيحضر حالات الجد في مجلس القوم، ويشهد حالات اللهو في الحوانيت. وكأني به يقول إني أعيش الحياة بالطول والعرض، وهذه صفة جلية في حياة طرفة فقد كان مقبلاً على مشتهيات نفسه دون حدود.

٤٧

متى تأتني أَصْبَحْكَ كأساً رويةً * وإنْ كنتَ عنها غانياً فاغنَ وازْدَدِ

- الصَّبُوح: شُربُ الصباح (والغبوق شُرب العشي).
- رويَّة: مملوءة.
- غانياً: مستغنياً (وفي بعض الروايات: ذا غنىً)

- وهنا يتمدح بتقديمه الخمر لضيوفه وأصحابه، وأنه متى زاره أحدهم صباحاً قدّم له منها كأساً مملوءة حتى وإن كان هذا الضيف من أهل الغنى والجدة وقد أخذ حاجته من الخمر فإنه يدعوه للمزيد منها!

٤٨

وإنْ يلتقِ الحيُّ الجميع تلاقني * إلى ذِروةِ البَيتِ الشريفِ المُصَمَّدِ

- الذِروة: رأس كل شيء وقمته.
- الحي الجميع: المجتمع.
- المصَمَّد: المقصود.

- وهنا يفخر بأنَّه متى اجتمع الحي بعد افتراقهم كان هو منتمياً إلى أعلى مراتب الشرف والسؤدد والمنزلة.

٤٩

نداماي بِيْضٌ كالنجومِ وقَيْنَةٌ * تَروحُ عَلَينا بَينَ بُردٍ ومُجْسَدِ

- نداماي: أصحابي المقربون المشاركون مجلس الشراب.
- قينة: أَمَة مُغَنِّيَة.
- تروح إلينا: تأتينا وقت الرواح وهو من الزوال إلى الليل.
- برد: ثياب واسعة مصبوغة بالزعفران.
- مُجْسَد: ثوب أُشبع صباغة (وقيل الثوب الذي يلي الجسد).

● ثم هنا يفخر بمجلس شربه ومن ينادمه فيه ويُغَنِّيه. فأما الندامى فأحرار كرام تتلألأ ألوانهم وتشرق وجوههم. وأما المغنية فقينة تأتيهم رواحاً لابسةً برداً وثوباً مصبوغاً بالزعفران، ثم يتوسع في ذكر أوصافها في الأبيات الثلاثة التالية.

٥٠

رَحيبٌ قِطابُ الجَيبِ منها رفيقَةٌ * بجَسّ النّدامى بَضّةُ المُتَجرَّدِ

- رحيب: واسع.
- قطاب الجيب: فتحة القميص فوق أعلى الصدر.
- رفيقة: مترفقة مطاوعة لينة الجانب.
- جس: لمس وتحسس.
- بضة: ناعمة الملمس لأنها رقيقة الجلد مكتنزة اللحم.

- هذه القينة التي تحيي مجلس المنادمة والشرب ليست كأي قينة، بل لها وصف متميز، ففتحة قميصها واسعة من جهة الصدر عن عمدٍ منها بُغية إثارة الناظر إليها، وهي مع ذلك مطاوعةٌ لا تمنع المنادمين من لمس وجس صدرها وما عري من جسدها ناعمِ اللحم رقيقِ الجلد صافي اللون.

٥١

إذا نحنُ قُلنا أَسمِعِينا انبرَتْ لنا * على رِسْلِهَا مطروفةً لم تَشَدَّدِ

- انبرت لنا: أجابتنا بالغناء.
- على رسلها: متأنية.
- مطروفة: مسترخية كأنه قد أصاب عينها طَرَف من الفتور (وفي بعض الروايات: مطروقة).
- لم تشدد: لم تُجْهد ولم تتعب من الغناء.

● ثم يمضي قدماً في مدح هذه القينة المغنية، وبعد أن أخبرنا بجمال جسدها وثيابها؛ يخبرنا هنا بقوة صوتها وطول نَفَسها وروعة أدائها في الغناء.

٥٢

إذا رَجّعَتْ في صَوتِها خِلْتَ صَوْتَها * تَجاوُبَ أظآرٍ على رُبَعٍ رَدِي

- الترجيع: ترديد الصوت.
- أظآر: جمع ظائر، وهي الناقة التي لها ولد.
- رُبَع: ما ولد في أول النتاج.
- رَدِي: من الإرداء وهو الإهلاك.

● ولا يزال الوصف في جودة أداء هذه المغنية فيخبرنا أنها إذا طرَّبت في صوتها ورددت النغمات حسبت صوتها من التحزين أصواتَ نوق تصيح عند جؤارها على أولادها وقد هلكوا.

٥٣

وما زال تشرابي الخمورَ ولذَّتي * وبَيْعِي وإنفاقي طَريفي ومُتلَدِي

- تشرابي: كثرة شربي.
- طريفي: ما كسبته من مال. (مال مستحدث)
- متلدي: ما ورثته من آبائي. (مال موروث)

● يقول: لم أزل أشرب الخمر وأشتغل باللذات وأبيع وأنفق أموالي سواء منها ما ورثته أو اكتسبته. (وجواب هذا في البيت التالي)

٥٤

إلى أن تَحامَتني العَشيرةُ كلُّها * وأُفرِدتُ إفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

- إلى أن: حتى.
- تحامتني: اجتنبتني.
- أُفردت: جُعلتُ وحيداً منبوذاً.
- المعبد: الأجرب المطلي بالقطران.

● يقول إنَّه لا يزال دائباً في إتلاف أمواله في الشرب واللذات حتى بلغ به الحد أنِ اجتنبته عشيرته، وأصبح يُعامَل معاملة البعير الأجرب الذي يبتعد عنه كل أحد خشية العدوى.

٥٥

رأيتُ بني غبراءَ لا يُنكِرونَني * ولا أهلُ هذاكَ الطرافِ الممدَّدِ

- بنو غبراء: الغبراء هي الأرض، والمقصود هنا الفقراء والصعاليك والمحاويج. سموا كذلك لأنهم لا يملكون إلا التراب.
- أهل الطراف: المقصود الأغنياء، والطراف هو البيت من الأدم يتخذه المياسير.

- يفخر الشاعر بكونه معروفاً لدى الأغنياء والفقراء على حد سواء، فأما الفقراء فإنهم يعرفونه لأنه يبذل لهم العطاء، وأما الأغنياء فإنهم يعرفونه لأنه منهم.

٥٦

ألا أيُّهذا اللائمي أَشهدَ الوغى * وأن أنهلَ اللذّات هل أنتَ مُخلِدي

- ألا: أداة نداء للبعيد.
- اللائم: العاذل. (وفي بعض الروايات: الزاجري، والمعنى واحد)
- أشهد: أحضر (وفي بعض الروايات كلمة أحضر في أصل البيت).
- الوغى: المعركة.
- أنهل: أعب إلى حد الارتواء والشبع (وفي بعض الروايات: أشهد، وفي بعضها: أحضر).

- ابتداء من هذا البيت يذكر طرفة أربعة عشر بيتاً في نظرته وفلسفته في الحياة والموت. وهو هنا يخاطب من يلومه على جسارته في الحروب وفي إنفاق الأموال، فيقول: يا من تلومني على خوضي الحروب وإنفاقي المال في اللذات هل تستطيع أن تخلدني في الحياة إذا كففتُ عن هذين الفعلين؟

٥٧

فإنْ كُنْتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ منيَّتي * فدعني أُبادِرْها بما مَلَكتْ يَدِي

- لا تسطيع: لا تستطيع.
- دفع منيتي: رد الموت عني.
- أبادرها: أسبقها.

- يقول لذلك المراجع والمعاتب له في الشجاعة والكرم: ما دمت لا تستطيع أن تدفع وتمنع عني الموت فأكون مخلداً في الحياة فدعني أتبع هواي في إنفاق مالي مبادرةً للمنية قبل حلولها ولا تلمني في ذلك.

٥٨

فلولا ثلاثٌ هُنّ مِنْ عِيشةِ الفتى * وجدِّكَ لم أَحفل متى قامَ عُوَّدِي

- الجد: الحظ.
- لم أحفلِ: لم أبالِ.
- عوَّدي: من يعودني.

● هنا يبين الشاعر غايته ومطلبه ومتعته في الحياة فيحصرها في ثلاث خصال، ويُقسم أنه لولا حبه لهذه الخلال الثلاث ما اهتم متى قام من عنده عواده وقد أيسوا من حياته. يقول لولا هذه الثلاث ما همنى متى جاءت منيتي.

٥٩

فَمِنهُنّ سَبْقُ العاذِلاتِ بشَرْبَةٍ * كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزبِدِ

- العاذلات: جمع عاذلة أي لائمة.
- بشربة: أي من الخمر.
- كُميت: الخمر إذا كان لونها بين الأحمر والأسود.
- تعل بالماء: يصب عليها الماء حتى ترتفع.
- تُزبد: يظهر زبدها أي رغوتها.

- أولى هذه الممارسات الثلاث التي هي محور حياة الشاعر؛ شربه الخمر وتبكيره في ذلك قبل أن يتنبه له من يلومه على إفراطه وإدمانه الشرب. وذلك أنَّ الواحد منهم كان يسكر بالليل فإذا صحا بالنهار عذلته العواذل من أم أو زوجة أو بنت، فهو يستبق عذلهن بالشرب مجدداً قبل أن يجدوا فرصة لمعاتبته!

٦٠

وَكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً * كَسِيْدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ

- الكر: العودة إلى المعركة لحماية منهزم، وهو أشد القتال.
- إذا نادى المضاف: إذا صرخ رجل يطلب النجدة من أصحابه في المعركة.
- المحنب: الفرس.
- سيد الغضا: ذئب الغضا.
- نبهته: هيجته.
- المتورد: الذي يطلب الورد أي الماء.

- وثانية الممارسات؛ شجاعته عند نجدة الصريخ من قومه في المعركة، على فرس سريع كأنه ذئب الغضا عند مورد الماء إذا استفز، وهذا النوع من الذئاب أخبثها وأشدها فتكاً.

٦١

وتقْصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعجِبٌ * ببهكنةٍ تحت الخباءِ المُعَمَّدِ

- تقصير: جعله قصيراً.
- يوم الدجن: اليوم الذي تنتشر فيه الغيوم.
- بهكنة: تامة الخلق سمينة ناعمة.
- الخباء: الخيمة.
- المعمد: المرفوع بالأعمدة.

- وثالثة الخصال جعل اليوم الرائع المليء بالغيوم أسرع انقضاءً، وذلك بالتمتع بامرأة فاتنة ناعمة مكتملة الجسم تحت بيت مرفوع بالعمد. وخص يوم الدجن بالذكر لأنه أحسن أيّام اللهو.

٦٢

كأنّ البُرِيْنَ والدّمالِيجَ عُلِّقَتْ * على عُشَرٍ أو خِرْوَعٍ لم يُخَضَّدِ

- البرين والدماليج: الخلاخيل والمعاضد، وهي من الحلى النسائية.
- العُشَر والخروع: أشجار رخوة الساق تهتز إذا حركتها الرياح.
- لم يخضد: لم ييبس لامتلائه بالماء.

- ثم يصف هذه المرأة التي يقضي يوم الدجن متمتعاً بها بأنَّ لها يدان وساقان لينة ممتلئة لحماً، تماماً كشجر من عشر وخروع أغصانه لينة ممتلئة ماءً.

٦٣

ذريني أُرَوِّي هامتي في حياتها * مخافةَ شِرْبٍ في الحياةِ مُصَرَّدِ

- ذريني: دعيني.
- أُروي: أسقي إلى حد الشبع.
- هامتي: رأسي.
- الشِّرب: نصيب من الشراب.
- مُصَرَّد: مقلل.

● هنا يطلب أن يُترك وشأنه في العبّ من الخمر مخافة أن يأتيَ يومٌ لا يجد منها إلا أقل القليل. وهذا البيت لم يروه أكثر رواة المعلقة.

٦٤

كريمٌ يُرَوّي نفسه في حياتِهِ * ستعلم إِنْ مُتنا غداً أَيُّنا الصَّدِي

- يُرَوِّي: يسقي إلى حد الشبع والامتلاء.
- الصَّدِي: العطشان.

• يتحدث الشاعر هنا عن صنيعه في حياته حيث يكرم نفسه ويسقيها من الخمر حتى تشبع وترتوي بينما عاذله يموت وهو عطشان. وقد كان طرفة مغرماً بالخمر حتى قيل أنه لما خيره عامل عمرو بن هند على البحرين في الطريقة التي يقتله بها قال له اسقني الخمر حد الثمالة ثم افصدني، قالوا ففعل فكانت طريقة موته مرتبطة بالخمر كما ارتبطت بها حياته!

٦٥

أرى قَبرَ نَحّامٍ بَخيلٍ بمالِهِ * كَقَبرِ غَوِيٍّ في البَطالَةِ مُفسِدِ

- نحَّام: البخيلُ الذي يكثر التنحنح وإحداث الأصوات متشاغلاً بذلك عن إجابة من يطلب منه شيئاً.
- الغَوِيّ: الذي يتلف ماله في العطاء.

● هنا ملمح آخر لنظرة الشاعر إلى الحياة. يخبرنا طرفة أنّ البخيل والكريم مآلهما جميعاً الموت حيث يتساوى منظر قبريهما ولا فرق، فلم ينفع هذا بخله ولا الآخر جوده، فالمصير واحد.

٦٦

ترى جُثْوَتَينِ من تُرَابٍ عَلَيهِما * صَفَائِحُ صُمٌّ مِن صَفيحٍ مُنَضَّدِ

- جثوتين: قبرين.
- صفائح صُمّ: شواهد من صخر قوي.
- صفيح مُنَضَّد: حجارة صخرية مقطعة.

• تأكيداً للمعنى الذي طرقه في البيت السابق يقول إنك لن ترى فرقاً بين القبرين من حيث المنظر الخارجي إذ يعلوهما شواهدُ من صخور قوية مقطعة. والمعنى الذي يذكره طرفة هنا معنىً صحيح في ظل عقيدة جاهلية ترى أنَّ الموت نهاية المطاف، وعليه فإنَّ المغبون حقًّا من لم يعشها بالطول والعرض ويجعل له ذخراً في الدنيا بالشجاعة والكرم والنَّدى يُذكر بها بعد وفاته.

٦٧

أرى الموتَ يَعْتَامُ الكِرامَ ويصطفي * عقيلةَ مالِ الفاحشِ المُتَشَدّدِ

- يعتام: يأخذ.
- يصطفي: يختار.
- عقيلة مال: صفوة مال.
- الفاحش: كثير الثراء.
- المتشدد: شديد البخل والحرص.

- يرى طرفة أنَّ الموت دائماً يُبَكِّر باختيار الكرام وأهل البذل والعطاء والندى بينما يستبقي ويؤخر أهل البخل والتقتير؛ هم وكرائم أموالهم. وهي ملاحظة لها حظ من النظر، وفي ظني أنَّ سر المسألة هو شدة افتقاد النّاس وحزنهم على أهل الفضل والجود إذا ماتوا بينما يموت البخيل ولا يجد أحدٌ ألماً لفقده، فيشيع إحساس بين النّاس أنَّ الموت لا يختار إلا هؤلاء[1].

---

[1] في رواية القرشي بعده: أرى الموتَ أعدادِ النفوسِ ولا أرى * بعيداً غداً ما أقربَ اليومَ من غدِ

٦٨

أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كُلَّ ليلةٍ * وما تَنْقُصِ الأيّامُ والدّهرُ يَنفَدِ

- العيش: حياة الإنسان (وفي بعض الروايات: أرى العُمْرَ).

- هنا حكمة جميلة وتصوير بديع من الشاعر حيث يشبه حياة الإنسان وعمره بالكنز الذي تأخذ منه الأيام بتعاقبها والأزمان بمرورها شيئاً فشيئاً حتى ينفد في نهاية الأمر.

٦٩

لعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أَخطأَ الفتى * لَكالطِّوَلِ المُرخى وَثِنياهُ في اليدِ

- لعمرك: وحياتك.
- ما أخطأ الفتى: لن يفلت منه الإنسان.
- الطِّوَل: الحبل.
- المرخى: الممدود.
- ثِنياه: طرفاه.

● يستمر طرفة في سرد الحكم الجميلة في صور بلاغية بديعة. فيقسم هنا بأنَّ كل إنسان لا يمكن أن يفلت من الموت أبداً كما أنَّ الدابة التي أمسك صاحبها بطرفي حَبْلِ قَيْدِهَا لا يمكن أن تفلت من يده ولو أرخى لها الحبل مدة فإنه يستطيع شدَّه متى شاء. وكذا الإنسان لو تمتع في الحياة زمناً فإنّ الموت في نهاية المطاف سيشده إلى أجله المحتوم. وهنا نلحظ الصورة البلاغية المذهلة التي سبكها الشاعر[1].

---

[1] في رواية القرشي بعده: إذا شاءَ يوماً قادهُ بزمامِهِ * ومن يكُ في حبلِ المنيَّةِ ينقَدِ

٧٠

فما ليْ أرانيْ وابنَ عمّيَ مالِكاً * متى أدنُ منهُ ينأَ عني ويَبْعُدِ

- متى أدن منه: كلما فعلتُ أفعالاً تقربني منه.
- ينأ عني: يبتعد عني بفعل أشياء تنفرني منه.

- بعد أن طوَّف بنا طرفة في ميدان الحِكَم؛ أنشأ في ذكر علاقته بابن عمه مالك. ويبدو أنَّ هذا الأمر كان يسبب له همًّا عظيماً بدليل تخصيصه أربعة عشر بيتاً من معلقته لهذا الشأن. وفي هذا البيت يبدي استغرابه من سعي ابن عمه الدؤوب لهجرانه مع ما يبذله هو في التقرب منه والتودد إليه.

٧١

يَلومُ وَما أَدري عَلامَ يَلومُني * كَما لامَني في الحَيِّ قُرطُ بنُ أَعْبَدِ

- يلوم: يعذل ويعاتب.
- علام: على أي شيء.
- قرط بن أعبد: رجل من قبيلة الشاعر.

- يقول أنَّ مالكاً يلومه ظلماً بلا سبب حقيقي، تماماً كما يفعل شخص آخر في القبيله هو قرط بن أعبد. والشاعر بهذا البيت يضرب عصفورين بحجر واحد عندما ينعت بالظلم والجناية هذين الشخصين.

٧٢

وأَيأَسَنِي مِنْ كُلِّ خيرٍ طلبتُهُ * كأَنّا وضعناهُ إلى رِمْسِ مُلْحَدِ

- أيأسني: أوصلني إلى مرحلة اليأس وقطع الرجاء.
- الرمس: القبر.
- مُلْحَد: جُعل له لحد.

● يصور هنا شدة يأسه من حصول أي خير من ابن عمه مالك كحالة اليأس من حصول خير من رجل ميت قد ألحد في قبره.

٧٣

عَلى غيرِ شيءٍ قُلْتُهُ غيرَ أنني * نَشَدْتُ فلم أُغْفِلْ حَمُولةَ مَعْبَد

- على غير شيء: بلا ذنب.
- نشدت: أنشدت قصيدة.
- لم أغفل: لم أتجاهل.
- حمولة: إبل يُحمل عليها.
- معبد: أخٌ لطرفة.

- يتكلم الشاعر هنا عن أخيه معبد حين نهبت إبله فردها طرفة بقصيدة أنشدها، وهذا السبب هو الذي جعل ابن عمه مالكاً ينقم عليه أنه لم يمتدحه بقصيدة مماثلة.

٧٤

وقرّبتُ بالقُرْبى وجَدّكَ إنّني * متى يَكُ أمْرٌ للنّكِيثَةِ أَشْهَدِ

- وقربت بالقربى: قربتُ نفسي منك وتوقعت منك النفع بسبب القرابة بيننا.
- وجدك: لحسن حظك.
- متى يك أمر: متى يحدث أمر جلل تحتاج فيه للمساعدة.
- النكيثة: بذل أقصى الجهد في أمر من الأمور.
- أشهد: أحضر لمساعدتك في لحظة الحاجة.

- يقول قرَّبتُ نفسي بالقرابة بيننا فرجوت نفعك يا مالك، وأُقسم أنه متى حدث أمر خطير فإني سأبذل كل جهدي في مساعدتك بما أستطيع.

٧٥

وِإن أُدْعَ للجُلَّى أَكُن من حُماتها * وإنْ يأْتِكَ الأعداءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ

- الجُلّى: الأمر العظيم، والمقصود المعركة الشديدة.
- الحُماة: جمع حامي، وهو المدافع في المعركة.

- لا يزال الشاعر يتقرب إلى ابن عمه ببيان ما يبذله له من نفع كان الأولى أن يجازى عليه بالخير، فيقول إنني إذا دعيتُ في المعركة العظيمة كنتُ من أبطالها، وإن يهاجمك الأعداء بكل قوتهم تجدني أدافع عنك بكل قوتي.

٧٦

وإن يَقذِفوا بالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ * بِشُرْبِ حياضِ الموتِ قبلَ التَّهَدُّدِ

- يقذفوا: يرموا.
- القذع: الفُحش.
- العِرض: موضع المدح والذم من الإنسان.
- التهدد: التهديد والتوعد.

- ثم يسترسل في بيان إحسانه إلى ابن عمه فيقول إنني إذا وقع الأعداء في عرضك بالشتم واللفظ القبيح فإنني أسقيهم من حياض الموت وأبادرهم بالقتل قبل أن أبادرهم بالتهديد، وهذا هو منتهى الشجاعة.

٧٧

بلا حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ وكَمُحْدِثٍ * هِجائي وقَذفي بالشّكَاةِ ومُطْرِدي

- حدث: الحدثُ الذنبُ والأمر المنكر.
- الشكاة: العيب والصفات السيئة.

- وهنا يعاتب طرفةُ مالكاً أنه بلا ذنب بدر منه يُعامِلهُ معاملة المذنب فيذمه ويرميه بالصفات السيئة ويطرده.

فلو كان مولاي امرءاً هُو غيرُهُ * لَفَرّجَ كَرْبي أَوْ لأَنْظَرَني غَدِي

- المولى: كلمة تستخدم في خطاب من هو أعلى رتبة.
- فرّج: كشف وأزال.
- أنظَرَني: من الإنظار وهو الإمهال.

- يقول لو كان خصمي غير ابن عمي مالك لعاملني معاملةً أفضل وأجمل، فأعانني وقت الضيق أو على أقل تقدير أمهلني ولم يتسرع في إصدار الحكم وإيقاع العقوبة عليَّ، بل انتظر إلى أن يصلح حالي في نظره.

ولكنَّ مولايَ امرؤٌ هُو خانِقِي * على الشُّكْرِ والتَّسْآلِ أو أنا مُفتَدِ

- خانقي: مضيِّق عليّ.
- التسآل: السؤال.
- مفتدٍ: مخلِّص نفسي مما هي فيه.

- وهنا يصور شدة معاملة ابن عمه له وتضييقه عليه سواءً شكره أو استعطفه أو حاول تخليص نفسه مما هو فيه أو حاول طلب المساعدة من غيره، وفي كل هذه الحالات لا يلقى إلا التضييق والتعنت من ابن عمه. وهذه الصورة التي ذكرها الشاعر تظهره بمظهر الضعيف المستخذي وإن كان مقصوده استعطاف قلب مالكٍ هذا.

٨٠

وظُلْمُ ذوي القُربى أشدُّ مَضَاضَةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنّدِ

- مضاضة: أقصى درجات الحزن والتألم والتوجع والحرقة.
- وقع: أثر.
- الحسام: السيف القاطع.
- المهند: المنسوب إلى الهند، ويقال الهندواني.

- هذا بيت من عيون الحكمة ومما سارت به الركبان وجرت به الألسنة وتناقلته الأجيال. والظلم وقعه شديد على النفس مهما كان مصدره، لكنْ يشتد حين يصدر عن قريب، لأنك لا تتوقع إلا نفعه وخيره ومساعدته، ولأنَّ العادة أنَّ المظلوم هنا لا يكاد يحرص على الانتصار من قريبه بل يصبر ويكتم الغيظ في قلبه فيكون الأثر النفسي عليه أشد من أثر السيوف الهندية الباترة إذا سلطت على الأجساد. وقد وفق شاعرنا هنا في سبك المعنى في قالب من التشبيه بديع.

٨١

فذرني وخُلْقي إنني لكَ شاكرٌ * ولو حَلَّ بيتي نائياً عندَ ضَرْغَدِ

- ذربي: اتركني.
- خُلْقي: أخلاقي التي أنا متصف بها.
- ولو حل بيتي نائياً: ولو انتقلت إلى مكان بعيد.
- ضرغد: حرة تقع في أرض غطفان في أعلى نجد، علماً بأنَّ ديار طرفة في البحرين شرق الجزيرة.

- وهنا تصل الحال بالشاعر إلى درجة التوسل فيقول لابن عمه مخاطباً: خل بيني وبين أخلاقي وطباعي ودعني في حالي ولا تقدم لي أي صورة من صور النفع، وستجدني في هذه الحالة شاكراً لك مهما بعدت المسافة بيننا. فكأنه يقول أنَّ المهم لديَّ أن لا تلحق بي الضرر والأذى وتختار العداوة لي.

٨٢

فلو شاءَ رَبِّي كنتُ قَيْسَ بنَ خالِدٍ * ولو شاءَ رَبِّي كنتُ عَمْرَو بنَ مَرْثَدِ

- قيس بن خالد: رجل من بني شيبان.
- عمرو بن مرثد: ابن عمٍّ لطرفة.

- هذان سيدان من سادات العرب المشهورين. يقول لو شاء ربي بلغني مثل مكانتهما من العز والشرف وكثرة المال والولد. وقد حصّل الشاعر بهذه الكلمات اليسيرة مالاً عظيماً فإنَّ عمرو بن مرثد لما سمع هذا البيت استدعاه وأعطاه مائةً من الإبل.

٨٣

فأَصبحتُ ذا مال كثيرٍ وعادَني * بنونَ كرامٌ سادةٌ لِمُسَوَّدِ

- عادني: زارني (وروي في متن البيت: وزارني).
- بنون كرام: أبناء كرام.
- سادةٌ لِمُسَوَّد: سادة في أنفسهم، وأبوهم سيد في قومه.

- يقول لو شاء ربي لجعلني كهذين السيدين فأكونُ سيِّداً في قومي ذا مال وفير، يزورني أبنائي السادةُ الكرامُ في أنفسهم، أبناءُ سيِّدٍ في قومه.

٨٤

أَنا الرّجُلُ الضَّرْبُ الذي تَعرِفونَهُ * خَشاشٌ كرأسِ الحيّةِ المُتَوَقّدِ

- الضَّرْب: الضَّرْبُ من الرجال هو الماضي في الأمور، الخفيف في قضاء الحاجات (وروي في البيت: الجعد، والمعنى واحد).
- خشاش: شجاعٌ مقدامٌ ذكيٌّ خفيف الرّوح.
- كرأس: مثل رأس.
- المتوقد: سريع الحركة كسرعة حركة النار.

• بعد أن انتهى طرفة من أحد أغراض معلقته، وهو عتابه لابن عمه، انتقل إلى غرض آخر هو الفخر بنفسه. وكان قد خصص لهذا الغرض اثنا عشر بيتاً بعد أبيات وصف ناقته، وهنا يواصل في ذات المقصد فيضيف عشرين بيتاً. وابتدأ بالتمدح بالشجاعة واليقظة والذكاء والإقدام والحزم وسرعة الإنجاز، تماماً كحال رأس الحية في شدة توقده وسرعة حركته وجسارة إقدامه.

٨٥

فآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحي بِطانَةً * لِأَبيضَ عَضْبِ الشَّفرتينِ مُهَنَّدِ

- آليت: أقسمت.
- لا ينفك: لا يزال.
- الكشح: الخصر.
- بطانةً: ملاصقاً وملازماً.
- أبيض عضب الشفرتين: سيفٌ قاطع الحَدَّين.
- مهند: من أسماء السيف منسوب إلى الهند.

- يتمدح هنا بالشجاعة والبطولة إذ أقسم أنَّ خصره لا يزال متقلداً سيفاً من سيوف الهند القاطعة الباترة، يقصد أنَّه أوقف حياته كلها للطِعان والحرب والقتال، وأنه لا مكان فيها للخوف والجبن والذعر.

٨٦

حُسامٍ إذا ما قُمْتُ مُنْتَصِراً به * كَفَى العَودَ منه البدءُ ليسَ بِمَعْضَدِ

- حسام: سيف قاطع.
- منتصراً به: ناصراً به من يطلب النجدة.
- كفى العودَ منه البدءُ: ضربته الأولى تكفي عن ضربته الثانية.
- مَعْضَد: سيف رديء يُمتهن فيُجعل لقطع الشَّجر!

- ولما أقسم في البيت السابق أنَّ خصره لا يزال متقلداً سيفاً هنديًّا قاطع الحدين؛ استرسل في امتداح هذا السيف في هذا البيت والذي يليه. وهنا يخبرنا أنَّ سيفه في المهمات لا يحوجه لأكثر من ضربة!

٨٧

أَخي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عن ضَرِيبةٍ * إذا قيلَ مهلاً قالَ حَاجِزُهُ قَدِي

- أخي ثقة: محل ثقة، والمقصود السيف.
- لا ينثني: لا ينبو ولا يكل بل يستمر قاطعاً.
- ضريبة: مضروبة أي ما يضربه السيف.
- حاجزه: حَدُّهُ.
- قَدِي: قد وقع القطع.

- وهذا السيف العجيب موثوق بمضائه وقوته حتّى أنَّ صاحبه لو طلب منه أن يكف عن الإعمال في العدو لاعتذر منه بأنَّ طلبه جاءِ متأخراً على حد قول الأول "سبق السيف العذل"!

إذا ابتدرَ القومُ السلاحَ وَجَدُّتني * مَنِيعاً إذا بَلّتْ بقائِمِهِ يدي

- ابتدر: أسرع.
- منيعاً: في مَنَعَةٍ من الأعداء.
- بلّت: بللت.
- قائمه: مقبضه.

● وهنا يختم امتداحه لسيفه ويخبرنا أنَّ القوم إذا استبقوا أسلحتهم وقد دُهشوا وفوجئوا بالغارة كان هو في منعة لا يُقهر ولا يُغلب طالما يده ممسكة بقائم هذا السيف.

٨٩

وَبَرْكٍ هُجودٍ قد أَثارتْ مَخَافَتِي * نوادِيَهُ أَمشي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ

- برك: جماعة الإبل الباركة.
- هجود: نيام.
- أثارت مخافتي: حرك خوفي.
- نواديه: أوائل الإبل (ويروى في البيت: نواديها).
- عَضْب: سيف قاطع.
- مجرد: مسلول من غمده.

- وبعد أن تمدح بالشجاعة وأتى بوصف عجيب لسيفه؛ يتمدح هنا بالكرم، ويخبرنا أنَّ مجرد مروره بالإبل الباركة للراحة يجعلها تقوم مذعورةً لأنها تدرك أنَّ عادته متى مرّ وفي يده سيفه المسلول أنْ ينحر إحداهن ولا بُدّ!

٩٠

فَمَرَّت كَهاةٌ ذاتُ خَيفٍ جُلالَةٌ * عَقيلَةُ شَيخٍ كَالوَبيلِ يَلَنْدَدِ

- مرّت: مشت.
- كهاة: ناقة ضخمة مسنة.
- ذات خيف: ذات ضرع (من النوق التي تُحلب).
- جُلالة: عظيمة الجسم.
- عقيلة شيخ: أفضل ناقة عند هذا الشيخ (وقيل المقصود بالشيخ والده).
- الوبيل: العصا الطويلة الغليظة.
- يلندد: رجل حاد المزاج شديد الخصومة.

● وهنا يتمدح بأنه لا يذبح للضيف إلا أفضل النوق، أضخمها جسماً، وأكبرها ضرعاً، عزيزةٌ نفيسةٌ عند صاحبها فلا يمكن أن تسمح نفسه ببذلها للأضياف. وبالرغم من أنّ صاحبها شديد البأس والطبع إلا أنَّ طرفة غلبه عليها وذبحها للأضياف.

٩١

يقولُ وقد تَرَّ الوَظِيفُ وساقُها * أَلَسْتَ ترى أنْ قد أَتَيْتَ بمُؤْيِدِ

- يقول: أي الشيخ صاحب النوق.
- تر الوظيف: ندر وبرز عظمها الذي بين الرسغ والساق.
- أتيت بمؤيد: قمت بداهية من الدواهي حين ذبحت هذه الناقة الكريمة.

- لما اختار طرفة هذه الناقة الكريمة النجيبة استنكر فعله الشيخ صاحب النوق حين عمد إلى أحسن نوقه وأفخرها وأقربها إلى قلبه فعقرها.

٩٢

وقال ألا ماذا ترونَ بشاربٍ * شديدٍ علينا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ

- وقال: أي الشيخ صاحب النوق.
- ماذا ترون: ما رأيكم بمن قتل هذه الناقة الكريمة؟
- الشارب: الثمل الذي سكر من شرب الخمرة.
- بغيه: ظلمه.
- متعمد: قاصد للظلم.

- وجعل صاحب النوق يستشير مَنْ حوله في الطريقة التي يمكن بها دفع طرفة ومنعه وقد شرب حتى الثمالة وتسلط على كرائم إبله متعمداً قاصداً.

٩٣

وقالَ ذَرُوهُ إنما نَفْعُها لهُ * وإلاّ تَكُفّوا قاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ

- ذروه: اتركوه.
- وإلا تردوا: إذا لم تعيدوا.
- قاصي البرك: الإبل التي كانت باركة ثم نفرت إلى أماكن بعيدة بعد أن ذبح واحدة منها.
- تزدد: تزدد بعداً وهرباً وتوغلاً في الصحراء.

● ثم استقر رأي الشيخ صاحب الإبل على أن يتركوا طرفة يفعل ما يشاء لأنه إنما يحرم نفسه نفع هذه الناقة التي سيرثها بعد وفاته. ثم يحذر مَن حوله أنهم إذا لم يمنعوا منه باقي الإبل فإما أنْ تزداد هرباً وتوغلاً في الصحراء لذعرها منه أو يزداد هو عقراً لها.

فظلَّ الإماءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَها * ويُسْعَى علينا بالسّدِيفِ المُسَرْهَدِ

- الإماء: الرقيق الخادمات.
- يمتللن حوارها: يشتوين حوارها في الملة وهي بقايا الجمر والرمل الحار.
- يسعى علينا: يقدم لنا.
- السديف: قطع لحم السنام وهي أطيب لحم الجمل.
- المسرهد: المقَطّع.

- وبعد أن انتهى طرفة من تصوير مشهد انتقائه الناقة النجيبة ليقدمها لضيفه ولوم أبيه ومحاورته مع إخوته؛ انتقل إلى مشهد الأكل وشواء الجواري والخدم للحوار وهو ابن الناقة تحت الجمر والرماد الحار وتقديم قطع السنام المشوية للضيوف.

٩٥

فإنْ مُتُّ فانْعِيني بما أنا أهلهُ * وشُقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ معْبَدِ

- انعيني: ابكي عليَّ واذكري فعالي الجميلة.
- شقي عليَّ الجيب: قطعي جيب صدرك حزناً وألماً.
- ابنة معبد: أخته.

- بعد أبيات التمدح بالشجاعة والكرم انتقل يوصي أخته، فيقول إذا حانت وفاتي أشيعي خبر موتي واجتهدي في النواح عليّ وتعداد المحاسن والمزايا، وبالغي في الحزن إلى درجة تقطيع الثياب.

٩٦

ولا تَجْعَلِيني كامرئٍ ليسَ هَمُّهُ * كهمّي ولا يُغني غَنَائِي وَمَشْهَدِي

- لا تجعليني: لا تساوي بيني وبين رجل لا يشبهني في الشجاعة والكرم.
- ليس همه كهمي: ليس غرضه في الحياة كغرضي.
- لا يغني غنائي ومشهدي: لا يسد مكاني في وقت السلم لأني كريم وهو بخيل، ولا في وقت الحرب لأني شجاع وهو جبان.

- هنا يحذر أخته من أن تساوي في النواح والبكاء والثناء عليه بمن ليس في مكانته من الشجاعة والكرم بل هو في غاية الجبن والبخل كما في البيت التالي.

٩٧

بطيءٍ عنِ الجُلّى سريعٍ إلى الخَنى * ذلولٍ بأجماعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ

- الجُلَّى: الأمر العظيم.
- الخنا: المعايب.
- ذلول: ذليل.
- بأجماع: جمع جِمْع وهو قبضة اليد أي أنه يُضرب بأيدي الرجال.
- مُلَهَّد: يُضرب على لَهده وهو أعلى الصدر.

● يصف هذا الرجل الذي يجب أن لا يساوى به بأنه بطيء عن المبادرة للأمور العظيمة، سريع المبادرة لأمور العيب والخنا، في غاية الذل والهوان، يضربه الرجال ويحتقرونه.

٩٨

فلو كُنْتُ وَغْلاً في الرِّجالِ لَضَرَّني * عداوةُ ذي الأَصحابِ وَالمُتَوَحِّدِ

- وغلاً: ضعيفاً، والوغل هو الرَّجُلُ يُلصق بالقوم وليس منهم.
- لضرني: لألحق بي الضرر والذل.
- عداوة ذي الأصحاب: عداوة من كان معه جماعة ينصرونه.
- المتوحد: المنفرد الوحيد من الرجال.

- يقول لأخته لو كنتُ رجلاً ضعيفاً لضرتني عداوة الآخرين ممن لهم أو ليس لهم أتباع، ولكنني شجاع قويٌّ لا تضرني عداوة أحد منهم لخصال تميزت بها. وهي المذكورة في البيت التالي.

٩٩

ولكِنْ نَفى عنّي الرّجالَ جَراءتي * عليهِم وإقدامِي وصِدْقي ومَحْتِدِي

- ولكن: استدراك لينفي عنه الضعف.
- نفى عني: أبعد عني.
- جراءتي: إقدامي.
- صدقي: عدم ترددي في الإقدام.
- محتدي: أصلي الكريم.

● يقول نفى عني مباراة الرجال ومجاراتهم ما تميزت به من شجاعةٍ وإقدامٍ في الحروب وصدقِ عزيمةٍ وكرمِ أصلٍ، فهذه الأمور أغنتني عن منازلتهم لأنهم لا يفكرون أصلاً في ذلك ولا يجترئون عليه.

١٠٠

لَعَمْرُكَ ما أَمْري عليّ بغُمّةٍ * نهاري ولا ليلي عليَّ بِسَرْمَدِ

- أمري: شأني.
- بغمة: لا أعيش في همٍّ ولا غمٍّ من الأمور المبهمة.
- نهاري ولا ليلي: ليس أمري عليّ بغمة في النهار ولا في الليل.
- سرمد: دائم.

- يواصل الافتخار بنفسه فيخبرنا أنَّ أموره واضحةٌ، وأنه خليٌّ عن الهموم والغموم في الليل والنهار، وإن حصل شيء قليل من ذلك فليس له صفة الدوام.

١٠١

ويومَ حبستُ النفسَ عندَ عِرَاكِهِ * حِفاظاً على عَوراتِهِ والتَّهَدُّدِ

- ويوم: يصف يوم معركة.
- حبست النفس: لزمت المعركة ولم أفكر في الهرب.
- عراكه: عند قتال ذلك اليوم.
- حفاظاً على عوراته: محافظة على عورات يوم القتال وهي الهزيمة والفرار.
- التهدد: ما يتهدد من أخطار في المعركة.

- ثم يصف يوماً من أيّام معاركه الجِسام حين أصبر نفسه ولازم أرض المعركة ولم يفكر في الفرار حفاظاً على سمعته، بالرغم من أن تلك المعركة لم تكن كأي معركة، بل كانت مهولة كما وصفها في البيت التالي.

١٠٢

علي مَوطِنٍ يخْشى الفتى عندَهُ الرَّدَى * متى تَعْتَرِكْ فيه الفَرائِصُ تُرْعَدِ

- على موطن: في مكان.
- الردى: الموت.
- تعترك فيه: تتعارك في ذلك اليوم، والمقصود تتبادل الرجال ضربات السيوف.
- الفرائص: عضلة أعلى الصدر. يشير إلى شدة حركة اليد بالمسايفة والمطاعنة مما يجعل عضلة الصدر تهتز، أو أنه لهول ذلك اليوم ورعبه تهتز الفرائص خوفاً. والفرائص أول ما يهتز من الإنسان عند الفزع.
- تُرْعَد: تهتز وترجف إما من شدة الضرب أو الفزع.

● يقول حبستُ نفسي في تلك المعركة المهولة حين يخشى الشجاع فيها الهلاك وتظل ترتعد فرائصه من شدة الهول[1].

---

[1] أورد القرشي بعده ستة أبيات هي:

أرى الموت لا يُرعِي على ذي جَلالةٍ * وإنْ كان في الدنيا عزيزاً بِمَقْعَدِ

لعمرك ما أدري وإني لأوجلُ * أفي اليومِ إقدامُ المنيةِ أو غدِ

فإن تك خلفي لا يفتها سواديا * وإن تكُ قُدَّامي أجدها بِمَرْصَدِ

إذا أنت لم تنفع بودك أهلهُ * ولم تنكِ بالبؤسى عدوكَ فابْعُدِ

وما هذه الأيامُ إلا معارةٌ * فما اسطعتَ من معروفها فتزودِ

ولا خيرَ في خيرٍ ترى الشرَّ دونهُ * ولا نائلٍ يأتيكَ بعد التودد

١٠٣

وأصفرَ مضبوحٍ نظرتُ حواره * على النارِ واستودعتهُ كفَّ مُجْمِدِ

- وأصفر: قدح لونه أصفر (وقيل: سهم).
- مضبوح: ضبحتُ الشيء إذا قربته من النار حتى أثرت فيه.
- نظرت: انتظرت فوزه.
- حواره: من المحاورة أي مراجعة الحديث.
- استودعته: أودعته.
- مُجْمِد: المجمد هو الذي لا يفوز.

- يعطينا الشاعر هنا صورة من العادات الجاهلية التي كانوا يفعلونها إذا حل بهم ضيفٌ زمنَ البرد، فقد كانوا يوقدون النّار وينحرون الجزور، ويضربون عليها بالقداح. فيقول رُبَّ قدح أصفر قد قربته من النّار حتى أثرت فيه ثم أودعته كف رجل معروف بالخيبة وقلة الفوز. وفي هذا البيت صورة من الحياة الجاهلية أوردها لمزيد من التأكيد على صفة الكرم والجود عنده.

١٠٤

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جَاهِلاً * ويأتِيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزَوِّدِ

- ستبدي: ستكشف في المستقبل.
- ما كنت جاهلاً: ما هو غائب عنك اليوم.
- من لم تزود: من لم تسأله عن هذه الأخبار.

- هذا البيت أيضاً من عيون الحكمة ومما سارت به الركبان وجرت به الألسنة وتناقلته الأجيال. ومعناه أنَّ تعاقب الليالي والأيام كفيلٌ بأن يُطلعك على ما أنت غافل عنه الآن، وسينقل إليك الأخبار من لم تطلب منه ذلك.

١٠٥

وَيَأْتِيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تَبِعْ له * بَتاتاً ولم تَضْرِبْ له وقْتَ مَوعِدِ

- تبع له: تشتر منه.
- بتاتاً: زاداً.

• وسينقل لك الأخبار من لم تشتر منه متاع المسافر ولم تحدد موعداً تلتقي به ليطلعك عليها. وخلاصة معنى هذا البيت والذي قبله أنَّ الأيام كفيلة بنقل الأخبار إليك دون الحاجة لأن تتعنى للبحث عنها[١].

[١] أورد القرشي بعده: ويأتيك بالأخبار كلُّ شِمِلَّةٍ * إذا حُطَّ عنها رحلُها لم تُقَيَّدِ. والشملة الناقة الخفيفة السريعة.

مراجع

١- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ.

٢- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، تحقيق محمد علي الهاشمي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٣٩٩هـ.

٣- ديوان طرفة بن العبد البكري، شرح يوسف الأعلم الشنتمري، عناية مكس سلغسون، مطبعة برطرند، فرنسا، ١٩٠٠م.

٤- ديوان طرفة بن العبد، شرح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ.

٥- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة.

٦- شرح المعلقات العشر، الحسين بن أحمد الزوزني، دار مكتبة الحياة بيروت، ١٩٨٣م.

٧- قاموس المعاني: www.almaany.com



نادي قارئون: ناد يُعنى بالتشجيع على القراءة الواعية، وتعليم مهاراتها.

Twitter: @qareoun